تمائمُ عشقٍ لم يكتملْ

«الشبح المنتقم»

رواية

آية محمد رفعت

الكتــــــــاب: تمائم عشق لم يكتمل: الشبح المنتقم

المــؤلـــــف: آية محمد رفعت

تصميم الغــلاف: مروة صلاح

المراجعة اللغوية: مها سيد

التنسيق الداخلي: إبداع

الطبعة الأولي: فبراير 2019

رقــم الإيــداع: 2018 / 25112

الترقيــم الدولــي: 6 - 222 - 779 - 977 - 978

الإخــراج الفنــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com



العنوان: 10 ش هدى شعــــــراوي، وســـط البـــــلد، القاهـــــرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

ibda3bookstore@gmail.com

تمائمُ عشقٍ لم يكتملْ

«الشبح المنتقم»

رواية

آية محمد رفعت



الإهداء

إلى نعم السند لي بالحياة _ أبى وأمى_ الغاليين أدامكما الله نعمة ثمينة بحياتي

إلى زوجي الغالي _محمد _ والذي دعمني لتحقيق ما أريد

إلى أختي الغالية وأخي الحبيب؛ أنتما كل عائلتي وعالمي الصغير

إلى أميرتي الصغيرة _جنة_ حفظكِ الله لي

إلى كل قارئ فاضل قطع من وقته الثمين ليقرأ ما سطَّره قلمي المتواضع

جزيل الشكر والتقدير

الفصل الأول

تعثر ثم وقف مجددًا؛ ليعافر للوصول إليها مجددًا، وهكذا ظل يحاول حتى وصل إليها، فحملها بين يديه بسعادة وهناء يتشبع بألوانها الخلابة بسعادة طفولية. كان هناك من يراقب هذا الطفل بغموض؛ نظراته غامضة لا يفقه فك شفراتها الكثيرة، شرد بالماضي الذي يأبى أن يتركه كلما حاول الابتعاد عنه، يلاحقه دائمًا ليفيق على صوت الخادمة:

الخادمة: لقد أنهيت الطعام يا سيدي، هل من شيء آخر تأمرني به؟

لم يكلف نفسه عناء الرد عليها، فقط أشار بيده بأن ترحل، وبالفعل غادرت الغرفة تاركة إياه بعزلته التي اعتاد عليها.

لا يعلم أحد ما يجول بخاطره؛ فهو شخص غامض للجميع بنظراته التي لا تفارقه أبدًا. جلس على المقعد بإهمال، ثم استند برأسه للخلف؛ لتمر أمامه ذكراها التي ترفض تركه، تطارده أينما كان، ومهما حاول أن يخرجها من ذهنه تلاحقه بتشبث كلماتها التي تتردد بصدى قلبه، هي له الجنون والعشق، حُرِم منها وحُرمت منه ليصبح بلا هوية. ترك الغرفة بل القصر بأكمله، وخرج يستنشق الهواء؛ لعله يشفى جرحه العميق، ذهب بعيدًا عن الجميع ليحظى ببعض الأمان، ليضعف قليلاً فلا بأس بذلك؛ جلس على الرمال الملتهبة بحرارة الشمس الحارقة كنيران قلبه التي تشبه الجحيم بدونها، بدون حب زهرته الفواحة، صرخ بصوت تملأه الآلام والأوجاع، صرخ قائلاً بصوت يملأه التواسلات:

ليث: يا ألله أرح قلبًا ذاق العذاب من أقرب الناس إليه، أرح قلبًا قدَّم الخير وحصد الشر، أرح قلبًا تمنى الهناء بمعشوقته ولم يحظى بها،

أرحني يا ألله.

بكى الليث، بكى القوي الغامض ؛ليسترجع ماضيه الذي يأبى تركه كأنه رفيقه الوحيد، ليجعله أشد قسوةً وجفاءًا؛ ليقف من جديد ويكمل طريقه الذي فُرض عليه .

بمكان آخر

كانت تجلس شاردة، كانت تراه أمامها بابتسامته التي تجعل للحياة مذاقًا آخر, كم اشتاقت عيناها لرؤيته! ولكن هل بعد الموت حياة؟؟!!! أفاقت ريفال من بحور أحزانها التي تختلط مع دموعها، فتنسج بحور من الأوجاع لم يذق طعمها سوى تلك الفتاة على صوت جدتها سوزان بحزن:

-لما البكاء يا عزيزتي؟ ألم يَحن الوقت للنسيان!!

نظرت لها ريفال قليلاً، ثم قالت بتعجب بصوت خافت:نسيان كيف؟؟!!هل يستطيع المرء العيش بدون الهواء؟!هل يحيا القلب دون نبض؟! ثم أكملت بصوتٍ متقطع من البكاء:

-أعيش على ذكراه جدتي، ترك لي بعض الذكريات لتكفيني عمرًا.

سوزان بحزن:

-أعلم يا عزيزتي، ولكن عليكِ النسيان ومنح قلبك فرصة أخرى، عليكِ تقبل عرض الزواج من الليث َوإلا سيغضب جدك عزيزتي.

ريفال بغضب:

-عن أي فرصة تتحدثين؟ لن أتزوج أبدًا وقد أخبرت الجميع بذلك؛ أنا زوجته هو فقط، لن أكون لآخر أبدًا.

سوزان بخوف:

-أخفضي صوتك؛ أخشى أن يستمع لنا أحد.

ريفال باستغراب:

-لن أخشى سوى ربي جدتي، لم أفعل شيئًا أرتعب منه!! أو أخاف؟

هي على حق؛ هى لم تفعل شيئًا تخاف منه! تطلعت خلفها لتجده يقف أمامها بطلته المخيفة، هو من يتزلزل له القصر ويُعمل له ألف حساب، وقف ينظر لها بغضب نظرات غامضة جعلت قلبها يدق خوفاً؛ فتمسكت بطوْق نجاتها بخوف جدتها سوزان فهي الأخرى على الرغم من أنه زوجها إلا أنها ترتعب منه فقالت:

-اهدأ قليلاً سليمان، فريفال بحاجة لراحة دعها تنسى الماضي، ثم تبدأ من جديد.

تحولت عيناه لجمرات من جحيم قائلاً بغضب:

-هي من صنعت الماضي بيدها؛عندما هربت وتزوجت هذا المعتوه، ولكني قضيت عليه عقابًا لها؛ لترى ما مدى قوة سليمان الأنصاري، اسمي يكفي لرهبة الرجال، وهي لم تصنع لي أي اهتمام، وتجرأت على أن تعلن تحديها عليَّ.

ريفال ببكاء:

-وعن أي تحدٍّ تتحدث جدي؟! أردت أن أتزوج الشخص الذي رأيته مناسبًا لي، لم أرد السلطة والمال، أردت حبًا ووجدته بفارس، وجدت به ما أتمناه، رجوتك أن تدعني وشأني، ولكنك حطمت حُلمًا نسجته بحب طاهر.

سليمان بغضب:

-وهل الزواج بدون علم الأهل حبًا طاهرًا؟!

ريفال:

-أجل, وقفت ضد سعادتي، حاولت أن أدعك تشعر بما في قلبي، ولكنك لم ترَ سوى المال، أخبرني أين هو؟ وأعدك أني سأنفذ أوامرك.

سليمان بغضب جامح:

-هل تريدين معرفة أين ذلك المعتوه؟ إذًا انصتي جيدًا، لقد أمرت رجالي بقتله بعد أن فقدتي وعيك.

صرخت صرخات تحطم القلوب، نعم, هي تعلم أنه بيد جدها ولكن لم تعلم بأنه فارق الحياة، صرخت بألم ونظرت له قائلة بكراهية ممزوجة بدموع تحمل أوجاعًا وآهات:

-جعلتك الثروة والنفوذ كفيفًا لا ترى غضب الله من حولك، استعد لنيران ستحرق قصرك وثروتك

هوى على وجهها بصفعة قوية، نزفت على إثْرها الكثيرمن الدماء، لتبكي جدتها على حال الحفيدة الصغرى التي لم يكتف الزمان بموت والدها ووالدتها بل يجعلها تعاني أطنان من الجراح والألم، لا تعلم أن المجهول سيقلب الموازين رأسًا على عقب.

اقترب منها وشرارات الغضب تشع بكلماته قائلاً بصوت كالجحيم:

-استمعي إليَّ جيدًا يا فتاة، اليوم سيأتي الليث ومعه والدته، إذا صدر منكِ أي خطأ حتى وإن كان غيرمقصود أعدك بالجحيم طوال الحياة.

سوزان بدموع:

-لا, لن تفعل ذلك، أعدك دعها تستريح قليلاً وستفعل ما تريده.

نظر لها بسخرية قائلاً:

-من الأفضل لها ولكِ أن تفعل ذلك.

ثم رحل وتركها تبكي بقهر، تنظر للسماء بألم تشكو لربها ما هي فيه، ظلت سوزان بجانبها تحاول أن تقنعها بأن ترى الليث كما أمر سليمان الأنصاري وإلا سترى غضبه، وبالفعل أقنعتها بأن تجلس معه وتوافق على الزواج منه؛ حتى تنال الحرية من هذا القصر اللعين الذي يتحكم به هذا الوحش الثائر، بكت وهي تخبرها بفشلها في التحرر منه طوال السنوات الماضية، حاولت أن تحظى بالحرية ولكنها صعبة المنال، تركتها ترتاح وتحسم أمرها، فقامت مسرعة للمرحاض تتوضأ؛ لتشكو إلى الله ما يؤلمها، سجدت لربها تبكي بقهر وألم احتل قلبها، عندما أخبرها جدها بأن محبوبها قد قُتل، قد توقف قلبه عن النبض بعشقها، قد زال الحب لتبكي جرحًا وألمًا وتشكو لله ما بها.

* ★ *

وقف أمام المرآه يمشط شعره الكثيف بشرود في الماضي، يتذكرها وهي تلفظ اسمه للمرة الأخيرة قبل أن يفقد هو الآخر وعيه، خانته دمعة هوت على وجهه بحزن على محبوبته، ولكنه أزاحها بكراهية وانتقام ليرى الجميع قوة الليث. دلف طفله إلى الغرفة بابتسامة جميلة قائلاً:

-إلى أين أبي؟!

حملة الليث بابتسامة بسيطة قائلاً:

-وهل من الممكن أن أسال صغيري لماذا مازال مستيقظًا إلى الآن؟

جوان:

-حاولت كثيرًا ولكني لم أستطع.

ثم أكمل بتردد:

-أبي أريد الذهاب للمقابر لرؤية أمي.

ليث بحزن:

-غدًا سآخذك بنفسي عزيزي, والآن هيا عُد إلى الفراش سريعًا قبل أن تعلم جدتك بأنك مازلت مستيقظًا.

ابتسم جوان وركض إلى غرفته وبداخله اندهاش بما سار عليه والده، أما الليث فحزن على هذا الطفل الذي فقد والدته وهو لا يتعدى التاسعة من عمره، أفاق على صوت الخادم يعلمه بأن السيدة جواهر بانتظاره بالأسفل.

وقعتُ أسيرًا لعشقك، وصرتُ معشوقًا ببحورعيناك، رسمتُ بيتًا يحوي أمواجًا من الأماني، أحببتك وتمنيتُ الموت بـأَحـضـانـك، توجتك ملكة لعرش قلبي وصرتُ أهواكِ. ريفال حفرته باللؤلؤ ليلمع بحياتي أحبك ريفال معشوقك الأبدِي.

فارس

مزجت تلك الكلمات بدمعها على فراقه، مزجت بجرح يجتاز قلبها ويصرخ اشتياقًا، لتزيح دمعها بيد واليد الأخرى تحتضن كلماته؛ لعلها تشفي جرحها. دلفت جدتها لتخبرها بحزن أن الليث بالأسفل مع والدته, بكت بصوت مسموع، بكت بكل ألم لتنظر للورقة تارة و جدتها تارة أخرى، وبالنهاية حسمت قرارها بالهبوط.

بالأسفل:

كان سليمان الأنصاري باستقبالهم بترحيب شديد، فلمَ لا وهو الليث المعروف بثرائه الفاحش؟!! أبعد ما في خيال سليمان أن يناسب مثل تلك العائلة. دلف الليث بكبرياء، وجلس متجاهلاً سليمان واضعًا قدمًا فوق الأخرى وينظر له بتعالٍ وثقة، ابتسم سليمان ابتسامة مزيفة؛ فالغضب يتملك منه، ولكن عليه التظاهر حتى ينال مبتغاه.

سليمان:

-أُضِيء القصر بحضورك سيدتي.

جواهر بابتسامة بسيطة:

-القصر منير بوجودكم سيد سليمان، ولكني لا أرى أميرته!

ابتسم بمكر قائلاً:

-ستهبط بعد قليل.

وما إن أنهى حديثه حتى هبطت ريفال مع جدتها وعيناها متورمة من البكاء.

سليمان:

-اقتربي صغيرتي، لما تقفين هكذا.

نظرت له بغضب حتى أنها كادت أن تتراجع، ولكن نظرات جدتها هي من أوقفتها، لتقترب منه بخطوات بطيئة كالتي تقترب من الموت.

جواهر بفرحة:

-كيف حالك ابنتي؟

رفعت عينيها التي تشبه عيون المها قائلة بصوت يكاد يكون مسموعًا:

-حمد لله على كل شيء أشكرك .

جواهر باستغراب:

-لما لا تقتربين! ثم أكملت بمزاح:

-لا تخافي، فالليث لا يبتلع أحدًا.

ضحك سليمان في محاولة لكبتٍ غيظه من تلك الفتاة، وأشارلها بيده وبعينيه نظرات الوعيد لها قائلاً:

-اقتربي ريفال، فالسيد ليث شخص لطيف للغاية .

كان ينظر لها بغموض من خلف الستار العازل له؛ نظارته السوداء التي لا تفارقه أينما كان، لا يعلم أحدًا لما هي جزء منه؟ لا يعلم أحدًا المجهول!!. وقفت أمامه تنظر له بتوتر، أما هو فالتزم مكانه بكبرياء، قطعت جواهرتلك اللحظات وجذبتها لتجلس بجانبها بفرحة تتودد لها بالحديث المرح، وتتساءل عنها، وكذلك وبقى الليث يتفحصها من خلف نظارته.

على شاطئ الإسكندرية، كانت الأمواج ترتطم ببعضها البعض بقوة، كأنها في سباق مع الزمن كخط الحياة القاسية بما فيها من أوجاع وهموم، كانت تجلس بشرود تتأمل أمواج البحر الهائج كحالها، لا تعلم إلى أين ستذهب بشقيقتها بعد أن طردها والدها من المنزل بأمر من زوجته، بكت عندما تذكرت والدتها وهي تحتضر بين يديها، وما أن توفيت حتى تزوج والدها امرأة السوء التي أمرته بطرد أبنائه؛ لتكون بحريتها بالمنزل، والأغرب والدها الذي أوصلها هي وشقيقتها إلى قطار متوجه

للإسكندرية، وأعطاها ورقة صغيرة بها عنوان لأخته التي لا يعلم عنها شيئًا منذ سنوات، ولكنها حجة ليريح قلبه. بكت شذا ولم تعلم إلى أين تذهب بتلك البلد الغريبة عنها؟ نظرت لشقيقتها الغافلة على قدميها كيف أنها متعلقة بملابسها كأنها طوق النجاة لها! وزادت دموعها وهي تراها ترتجف من البرودة، رفعت رأسها للسماء لتذرف دموعًا كثيرة تحمل الأوجاع والشكوى إلى الله عز وجل، فلم يعد لها سواه، لا تعلم كيف تصل لعمتها؟! وماذا ستخبرها؟؟!! هي لم تلتق بها سوى مرة أو اثنتين, فاحتضنت شقيقاتها بحزن وتركت العنان لدموعها؛ لعلها تشفي جروحها.

أفاقت شذا على صوت أحد، ما ففتحت عيناها الدامعتان لتجد أمامها رجلاً مسنًا يبدو عليه الاحترام.

الرجل:

-لماذا تجلسين هكذا يا ابنتي؟!

قالت والدمع حليفها:

-وأين ينبغي لي الذهاب بعدما تركنا والدي في منتصف الليل؟ أين عساني الذهاب؟!

حزن أنس على حالها وقال بحنان: هل لديك أقارب هنا تذهبين إليهم؟

شذا بدموع قهر:

ليس لدي سوى الله.

أنس:

-ونعمة بالله، حسنًا يا صغيرتي، أنا لدي منزل صغير، يكفي لضيافتك سأكون سعيدًا بذهابك معي.

شذا بتوتر:

-أقدر معروفك، ولكني سأكون بخير لا تقلق.

أنس:

-لا تقلقي يا ابنتي، فإن لي ابنتان بعمرك، أعلم أن العالم تبدل وأصبح على السوء، وهذا جعلنا جميعًا لا نثق بأحد،

ولكني رجلاً يخاف الله قبل أخلاقه وضميره، وتأكدي أني لا أخدعك صغيرتي.

انصاعت له، لم يكن لها سوى ذلك إلي أين ستذهب؟؟!! حتى الليل أوشك على الزوال ومازالت تجلس بأختها، حمل عنها أنس الحقائب، وحملت هي شقيقاتها وغادرت معه وقلبها ينتفض رعبًا، لا تعلم إذا كانت تفعل الصواب أم ماذا؟؟!!

بقصر الليث:

عاد ليث مع والدته للمنزل بعد أن تم تحديد الزفاف بعد شهر من الآن، لم يصدق سليمان أنه صارله مع الليث نسبًا، فلم تحمله الأرض من السعادة التي يشعر بها، جلس ليث بإنهاك على المقعد بعد أن أزاح ستاره العازل عنه وعن عينيه التي تنشق ألمًا لم سيرتكبه بتلك الفتاة.

جواهر بقلق:

-هل أنت بخير بني؟

ليث بصوت يملأه الأوجاع:

-أجل، مازالت على قيد الحياة.

جواهر بحزن:

-لا تحزن يا بني، فالأمر محتوم، طريق مرسوم لك وعليك أن تخطو به.

قال والدمع يلمع بعينيه:

-أعلم ذلك، أستأذنك أمي، أنا بحاجة للراحة، تصبحين على خير.

جواهر بحب:

-وأنت بخير حبيبي.

وتوجه الليث لغرفته بئر أسراره التي تحوي الكثير والكثير، وبقيت جواهر بدموعها عند ذكره فقدان فلذة كبدها

في غرفة من أفخم ما يكون، كان يستلقي على الفراش بسعادة؛ فاليوم صارعلى علاقة وثيقة بالليث،

سعادته لا توصف، أخذ يرسم إمبراطوريته مع الليث، كيف ستصل فيما بعد!! وينسج من الأحلام قصورًا،

ليفيق على صوت الهاتف المعلن عن انتهاء حلمه ليفيق على كابوس الشبح .

سر خفي هناك ببؤرة الألغاز؛ ليعود الشبح من جديد للانتقام كيف ذلك؟؟!!!

الفصل الثاني

أفاق سليمان على صوت الهاتف، فرفعه بتعجب من الذي يحدثه في هذا الوقت المتأخر من الليل!!

أتاه صوت غريب، فاستمع له باهتمام ليجده صوت قطار يعبرعلى قضيبيه بغضب كحال الشبح. ظل يستمعٍ للصوت لدقائق، حتى أتاه صوت غريب صوت يعلن بالهلاك له قائلاً بلهجة مخيفة:

-الحياة كالقطار، لكل منا محطته الخاصة، استعد للهبوط سليمان فقد أوشكت محطتك على الاقتراب، وحياتك على الزوال.

سليمان بغضب:

-من أنت؟ وماذا تريد؟!!

-أنا هلاكك، لعنة موتك، أنا الرعد الذي سيعصف بقصرك، أنا الجحيم، أنا الشبح.

....

وأغلق الهاتف بوجهه، لينتفض سليمان بغضب، كيف له أن يتحدث مع الأنصاري هكذا؟! من هذا؟! وكيف يجرؤ على الحديث معه بتلك الطريقة؟؟!!

ظل يٍفكر طوال الليل بتلك المكالمة, ولكنه بالنهاية أزاحها من خاطره معللاً أن أحدًا ما يخدعه بالحديث.

بالأسكندرية:

وقفت أمام المنزل بخوف شديد لا تعلم ما عليها فعله، هل تدلف معه أم ترحل؟ بدأ الأمان يسري في أوصالها عندما استمعت لصوت فتاة في بداية العقد الثاني من عمرها.

لين ببسمه تزين وجهها:

-لما تأخرت هكذا أبي؟!

أنس بتعب:

-أسف ابنتي, فالعمل اليوم كثيف لغياب السيد رائد.

لين:

-لا عليك أبي.

ثم قالت باستغراب لرؤيتة تلك الفتاة التي تقف حاملة لطفلة صغيرة:

-من تلك الفتاة؟!

خجلت شذا وتطلعت أرضًا فلم تجد إجابة تجيبها بها.

ليعفيها أنس عن الإجابة قائلاً:

-أختك الكبرى شذا من اليوم، وصعد ستجلس معنا بالمنزل.

لين باستغراب:أختي؟؟!!

أنس:

-أجل يا ابنتي شذا ابنة رفيقي، ستجلس معنا هي وأختها لحين عودته من الخارج.

ابتسمت لين بحب، فتلك الفتاة بها شيئ غريب، بالطبع، أختي تفضلي

حبيبتي .

وبالفعل دلفت شذا بعدما جذبتها لين برفق للداخل.

لين بفرحة:

-أنا لين، وهذه شقيقتي الكبري ليان.

تطلعت شذا إلى من أشارت لها لين، لتجد فتاة في بداية العقد الثاني من عمرها، تجلس على مقعد متحرك، يبدو أنها عاجزة عن الحركة تكتفي فقط بالنظرات .

لين:

- أنا سعيدة، لن أجلس بمفردي من الآن.

ابتسم أنس قائلاً:

-هل من الممكن أن تأخذي شذا للداخل لتضع شقيقتها بالفراش ثم تتابعين حديثك.

لين بحرج:

-أعتذر منك، من سعادتي نسيت تلك الأميرة الغافلة على ذراعيك، أعطني إياها سآخذها للداخل.

ابتسمت شذا وناولتها لورا بسعادة، فتلك الفتاة تبدو رقيقة للغاية.

دلفت إلى الداخل بالفتاة الصغيرة ويتابعها أنس بنظرات حزينة ليتحدث بصوت منكسر:

-لم أرَ البسمة على وجه ابنتي منذ سنوات، لم أخطئ عندما شعرت بأنكِ ستجلبين السعادة لمنزلي، ثم تطلع لابنته الجالسة كأنها بعالمٍ أخر:

-فقدت لين البسمة منذ أن تعرضت ليان للحادثة، وأصبحت غير قادرة على الحركة .

تساقطت العبرات من عينيه؛ لتذكره الحادث الأليم الذي يفتك بحياة ابنته، فتحدث بصوت متقطع من البكاء:

-لم تتحمل زوجتي ما حدث وتوفيت بعد الحادث بثلاثة شهور. أصبح المنزل بلا روح، تشعر لين بالملل لجلوسها بمفردها، ولكني لا أستطيع أن أفعل لها شيئًا، فعليَّ العمل لجلب قوت يومنا .

بكت شذا على معاناة تلك العائلة؛ فالجميع لديه ركنًا خاص بالأوجاع والأحزان، الكل منا لديه أحزان تختلف عن الآخر،

أزاح أنس دموعه قائلاً بابتسامة:

-حمد لله على كل شئ، والآن لين لم تعد وحيدة بوجودك ابنتي.

شذا بخجل:

- أشكرك على ما فعلته معي، لم أنسَ يومًا معروفك.

أنس بعتاب:

-أخبرتك أنكِ مثل بناتي، لا أريد سماع تلك الكلمات مجددًا .

ابتسمت شذا قائلة:

- أعدك بذلك.

خرجت لين من الغرفة، وجلست بجانبها قائلة بفرحة:

-أريد معرفة كل شيء عنك.

أنس بغضب مصطنع:

-أتتركين والدك جائعًا من أجل الحديث؟!

لين بغضب طفولي:

-أريد الحديث معها أبي.

أنس:

-أحضري العشاء وتحدثي كما تشائين .

لين بعند:

-سأذهب بعدما تخبرني بما أريد.

ابتسمت شذا على تلك الطفلة قائلة:

-سأخبرك بما تريدين معرفته لين، ولكن بعد أن نعد العشاء لوالدك.

لين بدهشة: تساعديني!!!

شذا:

-أجل إذا كنت سأسبب لكِ ازعاج ف...

قاطعتها لين مسرعة:

-لا بالطبع، سأكون مسرورة بوجودك معي هيا.

وتوجهت شذا معها للمطبخ تحت نظرة رضا من أنس لما فعله.

أتى الصباح بإشراقته النورانية التي تبث النشاط بالأرجاء، استيقظت ريفال من نومها، ثم توجهت للمرحاض واغتسلت، وأدت فريضتها التي تزيح همومها وتريح قلبها، ثم هبطت للأسفل للخروج من القصر إلى رفيقة دربها؛ فاليوم هو الثالث على وفاة والدتها لتقف على صوت جدها:

سليمان:

-إلى أين أنتِ ذاهبة؟

ريفال بصوت متقطع من الغضب؛ فهي لا تريد الحديث معه:

-سأذهب لرؤية رفيقتي هل من أمر؟

سليمان:

-تحدثي بطريقة أفضل وإلا منعتك من الذهاب.

ريفال:

-ماذا فعلت؟ لقد أجبتك على سؤالك .

سليمان بغموض:

-حسنًا اذهبي.

نظرت له قليلاً، ثم غادرت من القصر وتوجهت لمنزل رفيقتها، وتصدم عندما تجد امرأة في بداية العقد الثالث من عمرها تفتح لها الباب قائلة بنبرة مزعجة:

-من أنتِ؟وماذا تريدين؟؟!!

ريفال بدهشة:

أليس هذا منزل السيدة صابحة رحمها الله.

السيدة بضحكة استفزازية:

-تقولين رحمها الله يمكنك الذهاب للمقابر لرؤيتها.

وأغلقت الباب بوجهها دون أن تستمع لحديثها.

وقفت ريفال تفكر بمن تلك المرأة وأين صديقتها؟! فأخذتها قدماها للسيدة التي تقطن بجوار رفيقتها، طرقت على الباب لتفتح تلك السيدة وعلى وجهها ابتسامة بشوشة قائلة:

-مرحبًا بكِ ابنتي، كيف حالك؟

ابتسمت ريفال ابتسامة هادئة زادتها جمالاً قائلة:

-حمدًا لله على كل حال، أشكرك .

ثم أكملت بقلق:

-لقد جئت اليوم لرؤية شذا ولم أجدها بالمنزل، وفتحت لي سيدة أراها للمرة الأولى.

قاطعتها السيدة بحزن قائلة:

-أجل يا ابنتي تلك زوجته، لم ينتظر بعد وفاتها وتزوج أخرى.

صُدمت ريفال لتقول بدموع على رفيقتها:

-وأين شذا؟؟

السيدة بحزن:

-لا أعلم، ولكني رأيتها هي وشقيقتها تحمل حقائب، حتى أنها لم تحدثني كعادتها.

ريفال بحزن:

-كيف ذلك؟؟

السيدة:

-لا أعلم صغيرتي، قصصت ما رأيته، لكني أعتقد أنها راحلة لمكان ما.

بكت ريفال وتمزق قلبها حتى رفيقتها تخلت عنها، لا تعلم بأنها جُبرت على ذلك، لم تعد ترى أمامها فهبطت الدَرَج بخطوات ثقيلة، تدور أحداث الماضي أمامها، كانت تشعر بتحسن عندما تفتح قلبها لرفيقتها وها هي الآن وحيدة لم يعد لها سوى الله، تقدمت ريفال ببطء من السيارة، ولكنها أغلقتها ومشت سيرًا؛ لحاجتها إلى الهواء. أخذتها قدماها للقبور؛ لتجلس أمام قبر والدتها، تبكي بقهر وحزن على حالها، لم تر ذلك الشبح المتخفي، عيناه عليها يترقب خطواتها بهدوئه المميت. بكت ريفال ووضعت يدها على قلبها لعله يكف عن الألم، تمنت أن يكف عن النبض؛ لتزول معه الأوجاع للأبد،

رفعت عيناها المملوءة بالدموع للسماء تصرخ قائلة:

-يا ألله، قلبي لم يعد يحتمل.

بكت وأسندت رأسها أمام قبر والدتها، تتذكرعندما كانت طفلة صغيرة لا تتعدى التاسعة من عمرها، وعلمت بأمر وفاتهما، تتذكر الألم والدموع، تتذكر كل شيء كأنه حدث أمس، أفاقت ريفال على يد ما موضوعة بحنان على كتفيها،

كادت أن تفزع، ولكنها هدأت عندما وجدت طفلاً صغيرًا بملامح ملائكية يقف بجوارها إنه جوان بدمع يلمع بعينيه:

-لا تبكي، أعلم أن العيش بدونهم محال. اطلبي الرحمة حتى يسعد بيكِ.

جففت دموعها باستغراب قائلة:

- ماذا تفعل هنا يا صغيري؟!

جوان بابتسامته الطفولية:

-جئت لأجل أمي.

لم تستوعب ما قال إلا عندما أشار لها على مقبرة بالقرب منها، صُدمت ريفال وتساقطت الدموع من عينيها؛ فهذا الطفل يعيش نفس معاناتها.

أنحنت له لتقول بحب:

-ما اسمك حبيبي؟

ابتسم جوان قائلاً:

- جوان .

تعجبت ريفال من الاسم، ليكمل هو بغرور مصطنع:

-بمعنى الرجل الوسيم.

ضحكت ريفال بصوت يملأه السعادة من ذلك الطفل:

-وهل لي أن أسال الرجل الوسيم مع من أتى إلى هنا؟!

-أتى معي.

كانت تلك الكلمات من تفوه بها الليث الذي يراقب ملاكه الصغير بين ذراعيها بصمت، التفتت ريفال لتجده أمامها نعم، هو الليث الذي كان بالقصر أمس هو من ستتزوج به، نظرت له بتعجب، طاردها سؤال شغل بالها: ما العلاقة بين هذا الطفل وبين الليث؟ فكأنه أراد أن يخلصها من دوامة الفكر الغارقة بها.

ليث بغضب:

-ألم أخبرك أن لا تتحرك لحين عودتي!! لما لا تستمع لحديثي؟

وضع رأسه أرضًا قائلاً بأسف:

-أعتذر أبي، لن أعيدها مجددًا أعدك بذلك.

كانت تلك الكلمة كفيلة بجعل ريفال بدوامات من الصدمة والأفكار, لما لم يخبرها جدها بأنه متزوج ولديه طفل؟!

هناك جزء بقلبها مسرور لكونها ستكون أمًا لذلك الطفل، والآخر تعيس لما يضعها به المجهول.

ليث بحزم:

-هيا لنعد إلى المنزل.

جوان:

-أجل

ثم التفت لريفال قائلاً لها بسعادة:

- سررت بلقائك أ ...

صمت قليلاً فهو لم يعلم اسمها لتبتسم هي وتكمل بابتسامة جذابة:

-ريفال, اسمي ريفال.

ردد جوان اسمها باستغراب:

-اسم مختلف. ما معناه؟

ريفال بابتسامة جميلة أسرت قلب الليث:

-مقصده فتاة ذات شعر طويل للغاية.

جوان باستغراب:

-وهل أنتِ كذلك؟

ابتسمت بخجل تحاول أن تداريه، ولكنها فشلت ففضحتها حمرة وجهها فقالت بصوت منخفض:

- أجل عزيزي.

فرح جوان، وكاد أن يتحدث مجددًا، ولكن قاطعه الليث بنبرة جادة لا تحتمل أي نقاش:

-هيا جوان حان وقت الرحيل .

تركها جوان وأسرع بخطواته نحو والده الذي يقف بشموخ لم يعطها اهتمام. أمسك بيد الصغير وتوجه للسيارة غير عابئ بها، أما هي فكانت شاردة في هذا الليث؛ لماذا يريد الزواج بها ويتجاهلها هكذا؟!! ظلت تبحث عن إجابات لأسئلتها ولم ترَ ذلك الشبح المتفقد لتلك الحورية، فكانت ريفال جميلة حقًا بفستانها الأسود الفضفاض، وحجابها الذهبي المتوافق مع لون عينيها البني الذي يأسر القلوب، انتفض قلبها عندما شعرت بحركة ما بجانبها، فاستدارت بخوف شديد لترى شخصًا يقف على مرمى البصر يرتدي ملابس غريبة سوداء، مكمم لا يظهر منه شيئًا سوى عينيه المخيفة، ينظر لها نظرات مريبة جعلت بدنها يهتزِ خوفًا، ثم استمعت لأصوات مخيفة للغاية، بكت وأغمضت عينيها خوفًا، ليقترب الصوت منها أكثر، صرخت ريفال وركضت بذعر تلهث بشدة؛ لتصطدم بشخص ما فيتوقف نبض قلبها، رفعت عينيها لتلتقي به يقف بغموضه المعتاد.

الليث بسخرية:

- إذا أنهيتِ رحلتك هنا فمن الأفضل أن تعودي لمنزلك.

وتركها ورحل دون أن يستمع لها.

تابعته بغضب شديد قائلة والشرر يتطاير من عينيها:

- وعن أي رحلة تتحدث؟! لقد رأيت شخصًا مخيفًا للغاية، كان ينظر لي

نظرات مرعبة لا أستطيع تمييزها.

لم يجبها الليث وصعد إلى سيارته متجاهلاً إياها، أما هي فاستدارت تبحث بعينيها عن ذلك الرجل المخيف الذي رأته من قبل, لا تعلم أنه الشبح المنتقم!!!

استيقظت شذا بعد أن قضت الليل بمحادثات بينها وبين لين، حتى أن لورا استيقظت، وكانت تبكي بشدة خوفًا من ذلك المكان الجديد عليها، ولكن قامت لين بملاعبتها وجعلتها تعتاد نوعًا ما عليها، ابتسمت عندما تذكرت تلك الفتاة المجنونة، فهي تمتلك عقلاً طفوليًا، جذب انتباهها أصوات لضحكات عالية، فخرجت لتجد لين تلاعب لورا بحب وحنان، تعالت ضحكات تلك الصغيرة عندما وجدت شقيقاتها تقف بالقرب منها، فالتفتت لين لتجد شذا تقف وتراقبهم بسعادة

لورا ببراءة طفولية:

-أرأيتِ شذا ماذا أهدتني لين؟

انحنت شذا لتجد بيدها دُمية صغيرة، فابتسمت لها، وأخبرتها بأن تلهو بالغرفة بصمت حتى لا تزعج أحدًا، فسعدت الفتاة وركضت للغرفة بسعادة.

شذا:

-متى استيقظت تلك المشاغبة؟

لين بمكر:

- أتريدين الصدق أم لا؟

شذا بتعجب: ماذا؟!

لين بغرور مصطنع:

-أنا من جعلها يستيقظ، أردت اللعب معها وهي غافلة لا تريد الاستيقاظ.

ضحكت شذا على تلك الفتاة التي تجعلها تشعر بأنها طفلة صغيرة رغم بلوغها، لفت انتباهها تلك الفتاة الجالسة على المقعد بإهمال تنظر للجميع بدون وعي بحياة أخرى، جلست شذا على الطاولة الصغيرة قائلة بتساؤل:

- أين السيد أنس؟

لين:

- لقد ذهب أبي للعمل وسيعود بالمساء.

شذا:

-إن شاء القدير، ثم أكملت بخجل:

-لين, هل بإمكاني استخدام المرحاض لأتوضأ؟.

لين:

-بالطبع عزيزتي، أردت أن أوقظك لصلاة الفجر ولكني وجدتك متعبة للغاية فتركتك.

شذا بفرحة:

-صلاة الفجر بالمسجد؟!

لين:

- لا يا حبيبتي، بالمنزل يقف بي والدي إمامًا. كما أن صلاة المرأه بمنزلها أفضل من المسجد.

نظرت لها شذى باستغراب لتكمل لين بفصاحة:

-الرسول صلى الله عليه وسلم فضَّل أن تصلي المرأة في بيتها، وجعل أجر صلاتها تلك أفضل من صلاتها في المسجد .وهذا ما جاء بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها, وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها « .

كانت شذا بحالة ذهول تام من تلك الفتاة بتصرفاتها طفلة وحديثها امرأة عاقلة .

لين:

-تعلمت من أبي كثيرًا، وهو من أخبرني بذلك.

شذا:

-جزاه الله عنك خيرًا عزيزتي.

ابتسمت لين وقالت:

-هيا قومي اغتسلي، وأنا سأعد الفطور

شذا: حسنًا .

وتركتها وتوجهت للمرحاض لقضاء فرضها.

وضع يده على رأسه بتعب شديد يقاوم الصداع الرهيب الذي يطارده، استمع لصوت طرقات على الباب فسمح للطارق بالدخول، دلف أنس وهو يحمل كوبًا من القهوة لسيده.

أنس:

-القهوة سيدي.

أتاه صوته المتعب دون أن ينظر إليه قائلاً:

-ضعه هنا.

وبالفعل وضعها أنس قائلاً:

-وهل تحتاج شيئًا آخر سيدي.؟

رفع رائد يده من على وجهه؛ ليرى رجلاً كبيرًا بالعمر يقف أمامه فقال بتعجب:

-من أنت؟!

أنس بارتباك:

-أنا أعمل هنا سيدي بالقسم الخاص بالماكينات.

رائد بتعجب:

- وإذًا لماذا تقوم بتقديم القهوة لي؟ أين الشاب المسؤول عن ذلك العمل؟!

أنس ببعض الخوف من ما أرتكبه فهو يعلم بقسوة رائد بالعمل:

-الشاب مريض للغاية، أرد أن يجلب القهوة لك سيدي ولكني منعته من ذلك؛ فهو بحالة ليست على ما يرام.

رائد:

-إن كان مريضًا لتلك الدرجة لماذا لا يعود لمنزله لحين يتعافى؟

صُدم أنس من ردة فعل رائد الغير متوقعة فهو يسمع عنه الحزم والقسوة.

نحن رجال فقراء سيدي، لكل منا مستلزمات، نعمل حتى نكفيها اليوم يفرق معنا, فلم نحتمل رؤية أبنائنا يموتون جوعًا،

هنا من يغب يومًا يخصم منه راتبه خمسة أيام. كيف سنقدرعلى مستلزمات حياتنا في تلك الأيام؟

وقف رائد الشاب الذي لا يتعدى السادسة والعشرون من عمره قائلاً بغضب:

-كيف ذلك؟؟!!

أنس باستغراب:

تلك القوانين سيدي.

رائد بغضب شديد:

-من وضع تلك القوانين؟ أنا المالك هنا.

لم يستمع لحديث أنس وتوجه بغضب شديد إلي مكتبها، دفع الباب بغضب شديد؛ لتفزع قائلة بغضب شديد:

- كيف لك الدخول بتلك الطريقة؟؟ أنسيت من أكون!!

رائد بغضب جامح يقتلع أشد المنشآت:

-لست أنا من نسي من يكون بل أنتِ؟!! كيف تجرؤين على وضع مثل تلك القوانين؟

مايا بأسلوب استفزازي وهي ترتشف القهوة بدون اهتمام:

-وعن أي قانون تتحدث هناك الكثير؟

رائد بغضب:

-لقد سولت لك نفسك نسيان مع من تتحدثين؟!!

وقفت بغرور لتقترب منه قائلة بعدم اهتمام:

-أعلم جيدًا سيد رائد, أتحدث مع رائد الأنصاري حفيد سليمان الأنصاري، ولكنك أنت من نسيت مع من تتحدث عزيزي، هيا أفيق وعُد إلى أرض الواقع؛ لتعلم مع من تتحدث، بإمكاني القضاء عليك وعلى عائلتك بإشارة صغيرة، ثم اقتربت منه بشدة قائلة: :

-أعلم أنك زوجي، ولكني عندما أغضب أنسى من أكون.

الشركة مناصفة بيننا، الأمور المتعلقه بها دعها لي فأنا أعلم منك بها،

كبت رائد غضبه بداخله، فكم أرد اقتلاع عنقها!! ولكن لم يستطيع فتلك الفتاة تعرف كيف تخرسه, غادرمن الشركة بأكملها وبراكين الغضب بداخله، فكل ما أراده جده النسب مع تلك العائلة المرموقة، لم يفكر به ولا بالقليل حتى، أنه جعلها شريكة له بشركته الخاصة التي تعب بها رائد؛ ليجعلها من رواد الصناعة بالإسكندرية.

بحجرة معتمة لا يوجد بها ضوء كحال قلبه المنطفئ، لا يوجد سوى ضوء صغيرمسلط على صورة لها، تملأ المكان بأكمله كامتلاكها قلبه المحجور،تطلع لها بغموض ثم أزاح نظره لصورة لمن حطمه وجعله رمادًا، لا وتوعد له بالهلاك ليجذب هاتفه ويقوم بأول خطوة ببدء رحلة انتقامه.

عادت ريفال للقصر وهي كالمغيبة مما رأته، يشغل تفكيرها الكثير، الرجل الذي رأته، وهذا الليث الغامض التي لا تفقه بفك شفراته، دلفت وألقت التحية على جدتها:

-السلام عليكم جدتي.

سوزان بفرحة لخروجها أخيرًا من السجن:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته حبيبتي أين كنتِ؟!

جلست ريفال على المقعد بانهاك لتخرج ما بصدرها، وتعاونها الرفيقة الدائمة لها فتسقط بنيران على وجهها الأبيض:

-لقد ذهبت اليوم لرؤية شذا .

سوزان بخوف:

-لم تبكين إذًا! بالعادة يتبدل حالك برؤيتها ما الأمر.

بكت ريفال، وركضت لأحضانها قائلة بحزن:

- فقدتها للأبد جدتي .

احتضنتها سوزان بحزن لتقص لها عما حدث.

بمقر شركات إمبراطورية الأنصاري، صرخ بغضب جامح أفزع الأبدان.
سليمان بغضب:

-كيف ذلك؟؟!

العامل بخوف شديد:

-وهذا ما حدث سيدي لقد احترق المخزن بأكمله واحترق كل شيء.

سليمان:

-هل جننت؟!! كيف حدث ذلك؟!! المخازن تحتوي على بضائع بملايين.
سأقتلع رؤوسكم جميعًا.

ارتعب الرجل وقال ليخلص رقبته من تحت أنقاض الأنصاري:

-سيدي ما حدث وراءه مجهول.

سليمان بعدم فهم:

-ماذا تقصد؟!

كاد الرجل أن يجيبه لكن قاطعه صوت الهاتف ليجيب سليمان بذعر ليجلس من الصدمة.

...هل أعجبتك هديتي؟ ...

أشار سليمان لرجاله بالخروج فانصاعوا له على الفور.

سليمان محاولاً السيطرة على نفسه:

-من أنت؟!

أجبتك من قبل, ولكن لا عليك ربما ذاكرتك قد أضعافها الزمان .

ألقى ما بيده بغضب قائلاً بصوت مرتفع:

-ماذا تريد؟

...الانتقام ......

كانت تلك الكلمة الأخيرة التي تفوه بها الشبح قبل أن يغلق الهاتف بوجهه، تاركه يغلي من الغضب يفكر كثيرًا من ذلك الشبح؟

شبح، انتقام، سليمان، ريفال، تلك كلمات دونها الشبح للانتقام كيف سيحدث ذلك؟!

*ما السر الخفي وراء الشبح؟

*هل هو بالفعل شبح أم مجرد منتقم؟

*حب جديد سيهزم إمبراطورية الأنصاري كيف ذلك؟

*رائد بحاجة لأحد يشعر به ماذا لو دلفت هي بحياته؟

*أحد ما طغى على أحلام ليان وسيعود لأجلها كيف ذلك؟

*ما المجهول للين؟؟

*كل ذلك وأكثر ب...

الفصل الثالث

بأحد الشركات التابعة لليث:

كان يجلس يتابع عمله باحترافية بعد أن استلم عمله الجديد, فقد استطاع في وقت قياسي أن يكون الذراع الأيمن لليث، الصاحب الوفي له، تابع عمله على الحاسوب ليستمع لصوت يعرفه جيدًا، صوت يجعله كتلة من الجمرات النارية، رفع عينيه التي امتلأت بحمرة الغضب ليجده يقف أمامه.

سليمان بكبرياء:

-أخبر سيدك أني أريده؟

خالد بهدوء مميت رغم ما يدور بداخله:

-أ لديك موعد سابق؟

سليمان بغضب:

-ما هذا الهُراء ألم تعلم مع من تتحدث؟!!

لم يعره اهتمامًا، وأكمل عمله على الحاسوب قائلاً:

-أعلم من تكون، ولكني ألتزم بالتعليمات، بإمكانك تحديد موعد يناسب السيد ليث مع الاستقبال بالأسفل،

جُن جنون سليمان وصرخ به بغضب قائلاً:

-هل جننت أيها الأحمق؟!!! كيف تتحدث معي بتلك الطريقة!! لا تعلم ما الذي أستطيع فعله؟!!

وقف خالد، ونظر له بعينيه البنيتين قائلاً بصوت يحمل الغضب بأنواعه:

-ماذا ستفعل؟!! هيا أرني؟

خرج الليث على أصواتهم فقال بحزم:

-ما الذي يحدث هنا؟!

ثم أكمل باستغراب:

سيد سليمان، ماذا تفعل هنا؟

سليمان بغضب:

- لقد جئت لشيء هام، وأوقفني هذا الأحمق.

خالد بغضب:

-تحدثت معك باحترام، ولكنك لا تستمع لأحد.

ليث بهدوء:

-أهدأ خالد، فالموضوع بسيط للغاية، ثم وجه حديثه لسليمان قائلاً:

-تفضل معي سيد سليمان.

دلف سليمان للداخل وهو يرمق خالد بنظرات قاتلة.

أما خالد فجلس وقلبه يتأجج بالنيران؛ لتذكره ماذا فعل هذا الشيطان برفيقه؟

جلس الليث بكبرياء ينظر لسليمان الذي يتطلع للمكتب بإعجاب:

- ستظل تتأمل المكان طويلاً .

سليمان بحرج:

-لا شردت قليلاً، لقد جئت لك بأمر مهم.

ليث بهدوئه المعتاد:

- ماذا هناك؟

سليمان بضيق:

-أحد ما يضايقني، وقام بحرق المخازن الموجود بها البضائع.

ليث بتعجب:

-وهل تشك بأحد ما؟

سليمان بثقة:

-لدي أعداء كثيرون، ولكن لم يجرؤ أحد على فعل هذا، أشعر بوجود شيء مريب بالأمر.

نظر له الليث باستغراب، ولأول مرة يرى سليمان الأنصاري بتلك الحالة .

فقال بعين متفحصة له ونبرة تحمل السخرية نوعًا ما:

-ماذا تريد؟ حماية!!

سليمان بصوت مرتفع بعض الشيء:

-حماية!! أنا لا أخاف أحدًا سيد ليث، ولكن الأمرغامض بعض الشيء، أحتاج مساعدتك لمعرفة هذا الشخص، ولماذا هاجمني بذلك الوقت بالتحديد؟

استمع له بصمت حتى أنهى حديثه ثم قال بثبات:

حسنًا، سأفعل ذلك.

ابتسم سليمان على نجاح خطته، ثم تحدث بمكر قائلاً:

-شكرًا لك سيد ليث، سأعود للقصر،أحتاج للراحة بعد قضاء يوم شاق.

وتوجه للخروج ولكنه توقف عندما راودته تلك الفكرة.

فالتفت لليث الذي يجلس بثقة لا تليق سوى به قائلاً بتعب مصطنع:

-هى من الممكن أن تأخذني للقصر سيد ليث؛ أشعر بتعب شديد لا أقوى على الحركة.

نظر له الليث قليلاً بعين غامضة، بشيفرات مخيفة لا يفلح بفكها أحد، ثم تحدث بعين تحوي الشك:

-بالطبع.

وجلب هاتفه والمفاتيح الخاصة به ثم توجه معه للأسفل، ليلتقي سليمان بخالد الذي يتطلع له بغضب شديد، جعل سليمان يسترجع ذكريات من ماضيه ليتعجب من ملامح ذلك الشاب يبدو أنه رأه من قبل، ولكنه أزاح تلك الأفكار من خاطره، ورمقه بغضب فمن ذلك الذي يتحدث بتلك الطريقة مع الأنصاري؟!!.

زهور تفوح بعطر عشقك

رُسمت بأوراقها نسمات

بالجوري تزينت لحبك

والاسم حُفر بالأشواك

عيناك الرمادية تخبرني

بنسمات عشق وأمجاد

أقتلني عشقًا وداوني

بعسل حبك الشافي

كم تمنيت الموت بدفء

قلبك وبعينيك حُفرت أيامي

ذكرى من ذكريات الزمن، ملأها الغبار كحال قلبها, لتبكي شوقًا له، أردت أن تصرخ صرخة تزلزل الأبدان، أردت أن تحطم القلوب بدمع ذُرف بالأوجاع؛ لعل صرخاتها تعيده لأحضانها, لعله يعود لقيد الحياة مجددًا.

كانت تجلس بين السماء الزرقاء والأزهار, تجلس على أرض تنعم بالخضرة مفعمة بالحياة على عكس قلبها الزاهد في الحياة، تطلعت بجانبها لتجد خير رفيق لدربها القرآن الكريم بكلماته التي تشفي القلوب، يا ألله, كم ارتوى قلبها عندما لامس قلبها كلمات الله عز وجل!! دعت لمحبوبها بالرحمة، وأن يرزقه الفردوس الأعلى، دعت لوضع نهاية للظلم

دعت كثيرًا وهي تجلس بحديقة القصر منعزلة عن الجميع، بيدها دفتر يحوي ذكريات عشقها والأخر بئرأفراح قلبها المصحف الشريف.

وصل الليث بسيارته إلى القصر؛ ليهبط سليمان ويطالب الليث بالهبوط ولكنه رفض ذلك، وغادر دون الاستماع لحديث آخر منه فلم يعلم دهاء الليث!!

غادر الليث من القصر، ليلمحها تجلس بين الأزهار بفستانها الوردي، وحجابها الأبيض الذي جعلها أجمل من الأزهار،

زهرة مميزة تجلس وسط الزهرات، ترتل القرآن الكريم بصوت خاشع لله، يتذوق قلبها جمال كلماته فتخشع له العينان, وتسقطً الدموع حلاوة لكلماته، وقفت ريفال وجمعت أغراضها واتجهت للعودة للقصر؛ لتلتقي عيناها بهذا الغامض، الذي ينظر لها من سيارته التي تسير

ببطء شديد، ليتمعن بتلك الزهرة التي تخشع لها الأزهار خشية من جمالها الفواح، كانت لحظات سريعة توقف لأجلها الزمان، كانت تشعر باضطراب نبضاتها تزداد بقوة شيئًا فشيئًا، جعلته تعود للماضي لحظات, أما نظراته الغامضة بقيت تنظرلها حتى عبر بوابة القصر الكبير، غادر وبقيت هي كالمغيبة عن الواقع شيء غريب يطاردها، تشعر بأنها رأت تلك العينين من قبل، لم يكن قريبًا منها، ولكنها تعرفت لعينيه وكأنها اعتادت رؤيتهما من قبل، أفاقت على صوت الخادمة التي تحدثها منذ دقائق ولم تشعر بها، أفاقت بها تخبرها أن رفيقتها على الهاتف؛

لم تسعها الفرحة، وركضت بكل سعادة إلى الداخل تلتقط الهاتف بأنفاس متقطعة من الركض.

ريفال بفرحة واضحة بصوتها:

-شذا!!

ليأتيها صوتها الذي يطمئن قلبها:

- كيف حالك ريفال؟

ريفال بلهفة لسماع صوتها:

-دعك وشاني, أخبريني عنك، أين أنتِ؟ ولما تركتِ المنزل؟!

قالت والدمع حلفيها:

- لقد تزوج أبي بأخرى، وأوصلني أنا ولورا للقطار المتجه للإسكندرية، أعطاني عنوان لعمتي التي لم يعلم عنها شيئًا منذ سنوات.

ازدادت بالبكاء قائلة بصوت يمزق القلوب:

-تركني ريفال، تركني ولم يعبأ بي، ولا لشقيقتي الصغيرة.

ريفال بغضب ممزوج بدمعها على رفيقتها:

-اخبريني، أين أنتِ؟ سآتي لكِ.

أسرعت بالحديث قائلة:

-لا عليكِ ريفال، لقد منَّ الله عليَّ بشخص اعتبرني بمثابة ابنة له، وجلبني لمنزله لديه ابنتان ليان ولين أصبحت لهما شقيقة، لن أعود مجددًا ريفال، سأبحث عن عمل يكفيني أنا وشقيقتي؛ حتى لا نحتاج له.

ريفال بحزم:

-هيا أخبريني مكانك، وإلا بحثت عنك بكل مكان بالإسكندرية.

ابتسمت شذا قائلة:

-حمقاء أعرفك، حسنًا, سأعطي الهاتف للين تخبرك هي.

ريفال بلهفة:

- حسنًا .

وبالفعل تناولت لين الهاتف منها، وأخبرتها على العنوان ورقم هاتفها، لتغلق معها وتصعد غرفتها تحدثهم على هاتفها الخاص؛ حتى تنفرد بالحديث مع رفيقتها، أخبرتها كل شيء بدموع عن اختفاء فارس منذ شهور، وما حدث معهما، وعندما أخبرها جدها أنه أمر بقتله؛ بكت شذا لأوجاع رفيقتها؛ فقد ذاقت كلتاهما كأسًا مريرًا من العذاب، جروح مختلفة ولكن الكأس واحد مملوء بالعذاب والأوجاع، قصت لها عن الليث، وبكت عندما أخبرتها ما حدث منذ قليل، إنها أغضبت ربها الذي أمرنا بغض البصر وتطلعت هي له، أخبرتها أنها لم تشعر بما تفعل، وأن تلك النظرات تعرفها جيدًا تشعر أنها رأتها من قبل, قصت الكثير والكثير لها لتشعر بأن قلبها هدأ ألمه قليلاً، لتجدها دومًا خير ناصح لها، أخبرتها بأن تستغفر الله فإنه لا يرد مستغفر؛ فهو الرحمن الرحيم وسعت

رحمته كل شيء، ظلتا تتسامران الحديث سويًا ولم تشعرا بالساعات التي تنقضي كالثواني، الفراق يجمع بضع كلمات يخطها جملًا وعبارات.

وصل رائد إلى مصر بعد زمن محدود، اتجه إلى القصر الذي يجعله يشعر بالاختناق، نعم هو لم يشعر بالراحة بأي مكان منذ أن دلفت تلك الفتاة حياته، فرحت سوزان عندما وجدت حفيدها يقف أمامها بعد غياب:

-حمدًا لله على سلامتك بني.

أنحنى رائد؛ ليقبل يدها بابتسامة زادته وسامة:

-سلمك الله جدتي، كيف حالك؟

سوزان:

-بفضل من الله بني، هل عُدت بمفردك؟؟!!

رائد بحزن لحالها؛ فهي تتوق شوقًا لرؤية ولدها الذي يعيش بالإسكندرية، ونسي أن له والدة تبكي لقسوته عليها، نسى الله وعقابه على عقوق الوالدين .

فقال في محاولة لتبديل الحديث:

-أين ريفال؟

ابتسمت تلك العجوز لمعرفة ما يريد حفيدها فعله، وتقبلته بصدرٍ رحب قائلة بابتسامة ممزوجة بالحزن:

-بالأعلى بني.

رائد باشتياق:

-سأصعد لرؤيتها فقد اشتقت لها كثيرًا.

سوزان:

-اصعد بني.

اتجه رائد لغرفتها واستأذن للدخول، فعدلت من حجابها التاج الذي يزين رأسها قائلة باحترام:

-تفضل.

دلف رائد ليجدها أمامه بعد غياب شهور،عاد ليجدها كالزهرة الذابلة، تبدل حالها ليفقد وجهها الحياة

ريفال بسعادة:

-رائد متى عُدت؟!

رائد بنظرات استغراب لحالها:

-منذ قليل.

ثم حدثها مسرعًا:

-ماذا بك ريفال؟ لما أصبحتِ هزيلة هكذا؟!!

نظرت له بعين تلمع بالدمع؛ لعلها تشرح له ما مرت به من ظلم وأوجاع.

اقترب منها، ولكن بمسافة معلومة قائلاً باستغراب:

-هيا أجيبيني ماذا بك؟!

ريفال بدموع تصاحب صوتها المكبوت:

-حدث الكثير أخي، لقد دعستني الحياة لأصبح كالجثة الهامدة، جسد

بلا روح، ليس له من الدروب طريقًا، فقدت نبض قلبي الذي جعلني على قيد الحياة، طلبت الزواج منه وتوسلت، لم يستمع لي جدي وأجبرني على الزواج من آخر لأجل السلطة والنفوذ، تركته ورحلت مع محبوبي، تزوجت وتمنيت أن أحظى بهناء لبقية حياتي معه، لم أطلب الكثير أخي طلبت أن يدعني وشأني، لم يستمع لي أحد وحطموا الحلم الذي بنيته بعشق واشتياق، رأيته يصارع الموت لأجلي،

يردد اسمي كأنه صُنع لأجله، لم أستطع إنقاذه من براثنهم، وفقدت الوعي لتنتهي ذكريات حافلة بالعشق والأماني،

استعدت وعيي لأجد حياتي بدونه، سألت عنه لأرى ما به؟ ولكني لم أجد ما يريح قلبًا ذُبح بيد طاغية للظلم والعدوان.

مرت أيام وشهورلأتنقل كالجثة الهامدة بدونه، أحيا على أمل اللقاء به، وأنسج أحلامي؛ لأستيقظ على واقع أليم بفقدانه للأبد، ولم يعد لينير دنياي، حطم حياتي لأجل الثروة أخي. قالت تلك الجملة الأخيرة يصرخ، وآهات مزقت قلب رائد الذي بكي هو الأخر لحزنها .

رائد بصوت متقطع من البكاء:

-وكل ذلك وأنا لم أعِ شيئًا؟!

ريفال:

-مر الكثير والكثير أخي، ولكن نهايته موحدة للجميع ألا وهي ظلم الأنصاري، أنت أيضًا عانيت ومازالت تعاني، هنا تذكر رائد أوجاعه هو الآخر، فجلس على الفراش بحزن قائلاً:

-يحركنا كالطائرة الورقية بخيط واحد نهايته بيده، هو أبي من فعل ذلك.

جلست ريفال بجانبه ولكن بمسافة محدودة، تنظر للدمع المستحوذ

على عينيه بألم:

- أ مازلت تعاني معها؟!

رفع عينيه الحمراء من ذكراها قائلاً بصوت مملوء بالغضب:

-كم أتمنى أن ألقنها درسًا لن تنساه بحياتها، شيء واحد فقط يجعلني أتراجع عنها، ليس سلطة والدها ولا خوفًا من جدي، ولكن حملها من جعلني أبدو أمامها ضعيفًا.

ريفال بابتسامة سعادة لأجله فهو بمثابة شقيق لها:

-مبارك أخي، ستصبح أبًا.

ابتسم رائد عليها قائلاً بسخرية:

-أخشى أن يلتقط ابني بعض الغرور منها.

ضحكت بصوتها كله:

-لا عليك سأتولى مهمته.

رائد بمزح:

-أنتِ, إذًا سيطمئن قلبي قليلاً.

ضحكت وضحك هو الأخر، فهو ينجح أحيانًا ببث السعادة بقلبها، لم يشاهدا تلك الدموع المنغمسة بالأوجاع لرؤيتهما هكذا. بكت سوزان وحاولت أن تكبت شهقتها ولكنها فشلت، فأسرعت إلى غرفتها تبكي على القاسي الذي جعل حياة الجميع جحيمًا، لم تعلم ماذا عليها فعله سوى الدعاء له بالهداية.

بقصر مخيف للغاية، من يراه يتيقن بسواد قلوب أهله حاله كحالهم، كان يجلس والحقد يترأس عينيه، يشاهد التلفاز باهتمام، واليد الأخرى تعصف بالجهاز المتحكم به حتى حطمه من غله وكراهيته لذلك الشخص، دلف أبيه ليراه بتلك الحالة، فجلس بجانبه والحقد يسيطرعلى قلبه هو الآخر، لينظر للتلفاز الذي يتحدث عن إنجازاته، وما وصل إليه.

صلاح بسخرية:

-أشعر بالنيران تحرقك، أأنت بخير يا عزيزي؟

تطلع فهد بجانبه بغضب مكبوت، كم تمنى أن من يتحدث شخص أخرغير والده!! لكان الآن في عداد الموتى، كبت غضبه بضغطه على يده التي احمرت من شدة الضغط عليها.

صلاح بغضب:

-أنت مجرد شخص أحمق، لم تقوعلى قتله؛ حتى نحظى بباقي التركة.

فهد بغضب أشد:

-قلت لك لقد نلت منه, وتأكدت من قتله بنفسي.

ضحك صلاح ضحكات جعلت فهد يموت غضبًا وأكمل بسخرية:

-لاعليك يا بني, أصدقك, إذًا من هذا؟ شبح الليث.

وأخـذ يضحك بصوت جعل فهد ينسحب قبل أن يرتكب جريمة به،غادر وبخاطره الآلاف من الأسئلة. كيف له أن ينجو من الموت بتلك البساطة؟!! حاول قتله كثيرًا ولكنه يفشل بنهاية المطاف، لا يعلم أنه كفيف القلب يريد قتل نفس بغير حق لأجل المال والثروة، لم يكتف بما تركه له عمه، ولكنه أرد الكثير والكثير؛ لذلك قرربقتل الليث ابن عمه، الذي وقف بجواره كثيرًا يعتبره كأخ له، والآخر يخطط لموته، يا له

من قلب متحجر ألا يخاف الله!!

فقال -عز وجل-

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) (الإسراء)

قلبه متغلف بالحقد والكراهية، لم يستمع لكلام الله، وترك نفسه للشيطان يتحكم به.

بالأسكندرية:

قضت شذا اليوم برفقة لين، وقد أحبتها كثيرًا حتى لورا أحبتها وتعلقت بها، وأخذت تسرد لها عن حياتهم وعن أختها ليان، كان الفضول يقتل شذا لمعرفة ماذا حدث مع تلك الفتاة؟ لتريحها لين وتقص عليها بدموع حال شقيقتها، أخبرتها أنها كانت متفوقة بكل شيء، بدراستها، وأخلاقها، حتى بالمنزل كانت الأم والأخت، لين ذرفت الدموع حينما تذكرت عودة شقيقتها من الجامعة على المشفى بعد أن ضربتها سيارة، ولم يكلف صاحبها عناء النظر لتلك الفتاة التي ضربها بكل قوة، لتفقد وعيها وقدرتها على الحركة، أخبرتها بمعاناة أبيها لأجل جمع المال لجراحتها، فشلت بوصف معاناتهم من دونها وموتهم بالبطيء لرؤيتها هكذا, احتضنتها شذا لتصبح دموعهما واحدة، شعرت معهم بحنان لم تشعره مع أبيها، قُضي اليوم، وعاد أنس من العمل ليجد المنزل ملئ بالبهجة بوجود لورا، رائحة الطعام الشهي التي أعدته شذا بعد معرفتها بأن لين لا تعرف الطبخ كثيرًا، فكانت تصنع لأبيها أشياء خفيفة وكان يتناولها بسعادة ويحمد الله كثيرًا، جلسوا جميعًا يتناولون الطعام بسعادة، ولكن حَزِن

أنس عندما أخبرته شذا بأنها لا ينبغي لها الجلوس معهم كثيرًا، وبعد محاولات كثيرة من إقناع أنس لها بالبقاء ودموع لين نجحوا في تغيير قرارها، ولكنها اكتفت بشرط أن تعمل حتى لا تشعر بأنها وشقيقتها حملاً ثقيلاً على أحد، وافق أنس وأخبرها أنه سيبحث لها عن عمل يناسبها.

كانت تلهث من التعب وهي تركض خلف هذا المشاغب، فجلست على المقعد بإهمال قائلة بتحذير له:

_إن لم تعد سأقطع الحديث معك.

جوان بضحكات متتالية:

-أنت من قبلت بشرطي، لما تنسحبين الآن؟

ثم أكمل بمكر:

-لم أكن أعلم أنك تخافين مني لتلك الدرجة.

جواهر بدهشة من هذا الطفل:

-أخاف منك كيف ذلك؟!

جوان بخبث لا يليق إلا به:

-تنسحبين من المبارزة بشكل لا يليق بك جدتي .

جواهر بصدمة:

-وعن أي مبارزة تتحدث جوان؟

جوان بذكاء:

-وهل إطعامي ليست مبارزة؟

ضحكت جواهر على ذلك المشاغب الذي يجعل المنزل يفوح بعطر ابتسامته، دلف الليث ليجدها تبتسم بسعادة، فارتسم على وجهه ابتسامة بسيطة؛ لرؤيتها سعيدة بعد ما عانت منه، حتى هو الآخر قد حُرم البسمة أن ترتسم على وجهه، ولكنه فشل أمام الطفل هو الأخر.

تقدم الليث قائلاً بجدية:

-السلام عليكم .

أجابه جوان الذي وقف مستقيمًا، وكذلك جواهرالتي تكبت ضحكاتها على تحول هذا المشاغب لطفل برئ:

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاتة

اقترب ليث وجلس بالقرب من والده قائلاً بنبرة تحمل الحنان:

- كيف حالك أمي؟

ابتسمت جواهر وقالت بسعادة:

- حمدلله بني .

جذب الليث ابنه ليجلس على قدميه قائلاً بنظرات متوعدة:

-هل يزعجك أميري؟

أجابه جوان مسرعًا:

-لا أبي على الإطلاق .

تعالت ضحكات جواهر لينظر له الليث بشك، فوضع رأسه أرضًا قائلاً باستسلام.

-قليلاً.

ليث:

-ولماذا تزعجها جوان صغيري، ألم أخبرك من قبل أنها مريضة؟!

جوان بغضب طفولي:

-أسف جدتي, ولكني أريد الركض وأحد ما يركض خلفي بالطعام.

ليكمل بدمع يلمع بعينيه:

-كما كنت أفعل من قبل مع أمي.

احتضنه الليث بحنان، ثم أزاح دموعها بكفه قائلاً بمكر:

-هل أعجبتك تلك الفتاة؟

جوان باستغراب:

-وعن أي فتاة؟!! عما تتحدث؟!!

نظر له برمادية عينيه الداكنة فهذا الطفل يفقده صوابه فقال بنبرة تحمل التحذير:

-وهل هناك فتيات أخريات؟!!

جوان مسرعًا:

-لاااا أبي، ولكني لا أعلم عن أي فتاة تتحدث؟

ليث:

-تلك التي رأيتها بالمقابر.

جوان بإجابة سريعة:

-ريفال.

تراقص قلب الليث طربًا؛ عندما ردد الصغير اسمها كأنه يعزف نغمات خُلقت لاسمها، فقال بشرود:

_أجل بني، ستصبح أمًا لك قريبًا.

نظر له جوان بعدم تصديق ليقف بسعادة قائلاً:

-أتتحدث الصدق أبي؟!!

اكتفى الليث بإشارة من رأسه بمعنى نعم؛ ليتراقص الطفل من السعادة؛ فهو أحب تلك الفتاة كانت تتابعهم جواهربغموض، تحمد الله على ما مرت به، ولكنها أشارت للخادمة لتأخذ جوان لغرفته؛ حتى تنفرد بالليث كادت أن تتحدث ليقطع حديثها قائلاً:

-لا تقلقي أمي لن يستطيع فعل شئ.

أعجبت جواهر بذكائه فهو يفهم ما يدور بعقلها قبل الحديث.

أكمل حديثه بغضبا مكبوت:

-محاولات القتل الذي فعلها هو وإبنه فشلت صمت كثيرا وحان وقت الرد علي ما فعله

جواهر بغضب:

- لم أفهم. ماذا يريد؟ أخذ حقه بالتركة ومازال الطمع يجتز أواصره.

ليث:

-الحقد والكراهية بقلبه كفيلة لجعله يموت بالبطيء، عليه الآن أن يواجه غضب الليث.

وتركها وصعد للأعلى وعيناه تتوعد لذلك الوغد بالكثير, دلف لغرفته وأزاح رباطة العنق بضيق؛ فصدره يحمل الكثير والكثير، عليه الانتقام

من عمه وابنه الذي حاول جاهدًا في فك العداء بينهم ولكنه فشل، اغتسل ثم أدى صلاة القيام لتريح قلبه، أراد أن يحميه الله لأجل والدته فإن تأذى ستحطم وتنكسر هي وابنه على يد هذا الشيطان، سجد لله ودعا عما يجول بخاطره، هو بئر أسراره يرتاح عندما يشكو إليه، يتحدث بحرية ويتسع صدره بالإيمان والقوة، أنهى صلاته وخرج إلى التراس يتأمل قصره الواسع والسيارات بحزن، فكم شيد الكثير! ولكن قلبه لم يشف. كم تمنى التخلي عن الأملاك لأجل سعادة يوم كامل يعيشها بهناء، لم تجلب له الثروة سوى العدوان والعداء، خطرت على باله بوجهها الملاكي ليتذكرها وهي تجلس بين الزهرات ليتذكر حركاتها ودموعها وهي ترتل القرآن الكريم، ظل يفكرويفكر ولم يشعر بزوال الليل حتى استمع للفجر، فدلف وأدى صلاته، ثم ذهب بنوم عميق؛ ليندمج بأحلام بين الماضي وذكرياته الأليمة وبين المجهول الذي جعله شخصًا غامضًا للجميع.

الفصل الرابع

مر الليل بأوجاع على البعض وبدمعات على البعض الآخر، وأتي الصباح بإشراقة نور جديدة لتنير الحياة، ولكن مازال الظلام يملأ القلوب. أفاق رائد على صوت رنين هاتفه، فالتقطه بنوم لينقطع صوته ويستمع لصوتها المندفع.

مايا بغضب:

-أين أنت؟!أخبرني لماذا تلتزم الصمت؟

رائد بهدوء مميت:

- ماذا تريدين؟

مايا بغضب يحمل الغيرة بطلتها:

-لا تجيبني بسؤال, أخبرني أين أنت؟ وإلا ستندم رائد.

وقف والشر يتطاير من عينيه، حمد الله كثيرًا أنها ليست أمامه وإلا أوسعها ضربًا، فتحدث بغضب مكبوت بداخله:

-الندم سيكون حليفك أعدك.

كادت أن تتحدث ليأتيها صوته الذي يشبه الرعد:

- تحدثي بتلك الطريقة مجددًا وأعدك بأني من سيقوم بمعاقبتك.

لم يجد سوى الصمت ليقول بسخرية:

-فتاة مطيعة, والآن أغربي عن وجهي ولا تتحدثي معي مجددًا، قلت

لكِ كثيرًا لا يربطني بكِ سوى العمل وابني الموجود بأحشائك, غير ذلك لا َتنتظري

وأغلق الهاتف بوجهها بتأفف، فكم أرد التخلص منها! ولكنه يتحملها لأجل جنينها، انتشله من دوامة الغضب والكراهية صوت طرقات على الباب يعلمها جيدًا، فارتدى ملابسه وسمح لها بالدخول, دلفت ريفال وعلى وجهها ابتسامة جميلة لا تليق بسواها

ريفال:

-صباح الخير أخي.

رائد.بابتسامة لها:

-النور بصباحك ريفال، تفضلي.

دلفت ريفال وجلست على الأريكة قائلة بخجل:

- أريد مساعدتك بشيء .

رائد باستغراب:

-مساعدة!!

ثم أكمل بلهفة:

-بالطبع ريفال ماذا تريدين؟

نظرت له ريفال قليلاً، ثم تحدثت بتوتر ملحوظ بحركات يدها؛ ليقول:

-هيا تحدثي.

ريفال برجاء:

-أريد منك أن تساعد رفيقتي بالإسكندرية.

رائد باستغراب:

-مساعدة مالية؟

أجابته مسرعة:

-لا، لن تقبل ذلك، كرامتها بالنسبة لها كل ما تملك، أريدك أن توفر لها عملاً بشركتك.

رائد بتفهم:

-حسنا ريفال، الأمر لا يحتاج كل ذلك الخجل سأمنحها وظيفة بشركتي.

سعدت ريفال وقالت بشكر:

-جزاك الله خيرًا أخي، سأخبرها بذلك.

ابتسم رائد على سعادتها فهي له الشقيقة الغالية لم يمتلك سوى أخ واحد.

ريفال بسعادة ترسم البهجة على وجهها:

-تستحق فطورًا من صنع يدي.

انفجر ضاحكًا قائلاً:

-سأؤدي صلاتي، وأرى ماذا أعددتِ لي.

أسرعت ريفال إلى الأسفل قائلة بفرحة:

- سترى بنفسك.

ابتسم رائد وأدى صلاته، ثم توجه للأسفل ليتقابل مع جده.

سليمان بستغراب:

-رائد! متى جئت؟!

نظر له قليلاً، فقد كان مسرورًا لعدم رؤيته وها هو يلتقي به .

أجابه بنفور قائلاً:

-أيُمنع عني رؤية جدتي!

سليمان بغضب جامح:

-تحدث معي باحترام وإلا....

قاطعه رائد بصوت مرتفع، صوت من الظلم والطغيان قائلاً:

-وإلا ماذا!! ستعاقبني أم ستحرمني الطعام، أَفِق سيد سليمان لست صغيرًا.

وقبل أن يتحدث سليمان تركه رائد يحترق غضبًا وأكمل طريقه، وقف سليمان ينظرله وهو يغادر بثقة؛ ليرتعب من القادم ها هي الدُمى تقطع القيود والخيوط التي تحركها شيئًا فشيئًا، هبط إلي الأسفل ليجد ريفال تجهز الطاولة بالطعام الشهي الذي أعدته

خصيصا له.

ريفال:

- إلى أين أخي؟

توقف عن الحركة، ونظر لها بحزن، ثم رفع أنظاره عاليًا ليراه يقف ونظراته بالغضب محملة. تطلعت ريفال إلي ما يتطلع له رائد لتجده يقف أمامهم.

سليمان بصوت أفزع الجميع:

-لماذا توقفت؟ هيا أرحل من هنا قبل أن أقتلك بنفسي.

رمقه رائد بغضب ورحل، لتركض خلفه ريفال والدمع يشق طريقه لوجهها، وقف رائد أمام السيارة يتطلع لها بحزنٍ؛ فهي واقعة بين براثينه، أغلق باب السيارة مجددًا واقترب منها قائلاً بحنان:

- لطالما أعتبرتك شقيقتي ريفال، كم تمنيت أن أحميك من الظلم القابع هنا! ولكني أفشل بنهاية المطاف.

بكت ريفال وقالت بصوت باكٍ:

-لا عليك أخي.

قاطعها رائد:

-وإذا كنت أخوكِ فانصتي لحديثي جيدًا، الحياة رحلة ريفال لا تقف عند نقطة، كملي حياَتك مع الِشاب الذي تقدم لخطبتك، كادت أن تتحدث بغضب ليقاطعها هو قائلاً:

-أعلم أنك ما زالتي تحبين زوجك، ولكنه حرمك منه، ادعي له بالرحمة وأمضي حياتك بعيدًا عن هذا القصر اللعين،

أخبرتني أنه لديه طفل وأحببتيه، إذًا تعايشي معه لأجل هذا الطفل، تعويضًا عما مررت به، يكفي ثواب تربية يتيم حبيبتي،

بدا عليها الاقتناع ليقترب منها قائلاً بحنان:

- أريد رؤيتك سعيدة ريفال، هنا جحيم تشبثي بفرصتك لنيل حريتك من هنا، سأرحل الآن، وإن شاء الله سأحدثك بالهاتف.

ريفال ببسمة جميلة رغم ألم الفراق عن أخيها الذي يخفف عنها الآلام شيئًا ما:

-في رعاية الله أخي.

ابتسم لها ورحل بسيارته من هذا القصر اللعين كما ينعته، وبقيت ريفال تتطلع لأثر السيارة بشرود بحديثه.

بالشركة الخاصة بالليث.

بمكتب خالد.

كان يتأمل الهاتف بشرود بالماضي الأليم الذي انتزع منه رفيق دربه.

فلاش بااك

خالد بصوت مرتفع للغاية:

_هل جننت فارس؟ هيا عد إلى رشدك.

فارس بابتسامة سخرية:

_ أريد الحلال خالد، فما الجنون بذلك؟

خالد بغضب:

_ الجنون بمن؟ سليمان الأنصاري لن يتركك حيا، لوعلم بأنك تنوي التقدم لخطبتها .

فارس باستغراب:

يقتلني!! أطلبها بحلال الله, هل فعلت ذنبًا؟ أنا طبيب ناجح لست فقيرًا ولا متسولاً.

زفر خالد بحنق قائلاً:

أعلم ذلك, ولكن لا تنس أن والدك مجرد عامل بشركات سليمان الأنصاري.

فارس بغضب:

ماذا تقصد خالد؟

هل يتسول أبي؟!إنه يعمل بجد وإخلاص، العمل لا يعيب صاحبه.

خالد بهدوء:

_اعلم ذلك فارس، ولكن تفكير سليمان ليس كتفكيرنا.

أنا ابن خالتك وأفهمك أكثر من نفسك، استمع لحديثي، ودعك من تلك الفتاة.

تطلع له قليلاً بعين تحمل الألم والحزن، ما ذنب قلبه الذي وقع أسيرًا لعينيها، حتى أنه خاف نظراته تعرضه لغضب الله، فأراد التقدم لخطبتها، لم يجنِ أو يرتكب ذنبًا ما. أفاق خالد من شروده على صوت الهاتف الخاص بمكتب الليث، ليرفعه بعين ممزوجة بدموع فراق رفيق دربه، ليستمع لصوت الليث بأمره بالدخول, وبالفعل دلف بخطوات بطيئة للداخل، وقف يتطلع لليث الذي يعمل على عدد من الملفات بشرود، لاحظه ليث فخلع نظارته التي تزيده وسامة وجاذبية، ليرى خالد بعالم آخر.

ليث بقلق:ماذا بك خالد؟

أفاق خالد على صوته ليخبره بصوت واهن:

_ أنا بخير سيدي، أحضرت لك ما طلبت .

ووضع خالد الأوراق على المكتب، وتوجه للخروج ليقف على صوت الليث الغاضب:

_ قلت لك كثيرًا أن تكف عن كلمة سيدي؟

استدر له وقال بهدوء:

_بالخارج ليث، هنا أنا السكرتير الخاص بك.

ليث بنبرة محذرة لا تحتمل النقاش:

_هنا وبالخارج وبأي وقت سمعت .

ابتسم خالد قائلاً:

_سينفذ.

جلس الليث بكبرياء قائلاً بحزم:

_اجلس .

خالد:

_ لدي الكثير من الأعمال.

نظرة واحدة من رمادية الليث كانت كفيلة بجعل خالد يجلس مسرعًا، وبانتظار ما سيقول:

_سألتك سؤالاً وبانتظار الرد.

خالد:

_ أخبرتك ليث أنا بخير.

الليث بهدوء مميت:

_الصدق خالد.

زفر خالد بتأفف، من هو ليخدع الليث.

قال بحزن والدموع تلمع بعينيه:

_ لقد اشتقت لرفيقي ليث.

أتمنى أن ارتمي بأحضانه وأشكو له كعادتي؛ فارس كان أخًا لي لم يكن ابن خالتي، دعوت له كثيرًا بالرحمة، ولكن قلبي يرفض تصديق موته.

قاطعه الليث بعين تحولت لجمرات من جحيم:

_ قُتل .

تطلع له خالد بذهول؛ فهو لم يقص عليه أي شيء عن وفاة فارس، كيف علم بأنه قُتل.

عادت نظرات الليث مجددًا للطبيعي ليقول بهدوء:

_ لما تتطلع إليَّ هكذا؟

خالد:

_ كيف عرفت بأمر مقتله؟

الليث بهدوء مميت على عكس قلبه الغامض:

_من لم يعلم بأمر الفارس خالد؟

خالد بتعجب:

_ لم يعلم أحد بأمر موته ولا الشرطة .

ابتسم الليث قائلاً بثقته المعتادة:

_ تعمل معي ولم تعرف من أكون، أعلم كل شيء خالد.

تعجب خالد كثيرًا ليتحدث بتوتر قائلاً:

أتعلم من الذي قام بقتله؟!

الليث:أعلم.

جحظت عينا خالد ليقول بدهشة:

_ وتضع يدك بيده .

وقف الليث بثقة، وتوجه إلى الشرفة يتطلع للخارج بغموض قائلاً بهدوء مميت على عكس العاصفة بداخله:

_قلت لك لم تعلم من الليث .

كاد خالد أن يتحدث لـ يقاطعه صوته الحازم قائلاً:

_بإمكانك العودة للعمل خالد.

لم يفهم خالد شيئًا، وغادر المكتب وعقله شارد بذلك الليث.

* ★ *

صعدت ريفال إلى غرفتها، ومازال حديث رائد يتكررعلى مسامعها، لتحسم أمورها بالدعاء إلى الله أن يوافقها إلى ما يحبه ويرضاه، تذكرت رفيقتها فجذبت الهاتف، وطلبتها ليأتيها صوتها على الفور.

شذا:

_ السلام عليكم.

ريفال:

_ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته, كيف حالك حبيبتي؟

شذا:

نحمد الله على كل حال، أخبرتُ عمي أني سأترك المنزل، ولكنه رفض ذلك فأخبرته بأني سأعمل؛ حتى أكفي احتياجاتي واحتياجات لورا،

فأخبرني أنه سيبحث لي عن عمل يناسبني.

ريفال:

_لقد وجدت لك عملاً يناسبك.

شذا بسعادة:

_أين؟؟

ريفال:

_ أخبرتك من قبل عن أخي رائد، شركته بالإسكندرية، أخبرته عنك وأخبرني أن عليك الذهاب للشركة.

شذا بخجل:

_ لم أجد كلمات أعبر بها شكري لك.

ريفال بغضب:

_ أعيدي كلماتك مجددًا، وسوف أنهال عليك بالضربات، ألم تتذكري ماذا كنت أفعل من قبل.

ضحكت شذا عندما تذكرت الطفولة المحملة بالذكريات الجميلة، بقيت ريفال معها على الهاتف يتسامران الحديث بالطفولة وأخبرتها برأى رائد عن الزاوج؛ فأيدته شذا كثيرًا وبدأت بإقناع ريفال.

* ★ *

في أحد قصور الإسكندرية، في قصر تابع لعائلة الأنصاري، كان يرتجف خوفاً والعرق يبلل وجهه، يشعر بانقباض روحه، يراها أمامه جثة بعد أن دهسها بسيارته، أفاق جاسم من نومه مفزوعًا كعادته، يجفف عرقه

بيد مرتجفة من الحُلم الذي يراوده منذ أنٍ دهسها بسيارته، أزاح الغطاء بقوة وخرج للشرفة؛ لعل الهواء يهدأ قليلاً لتمر أحداث اليوم على باله .

كانت ليلة عاصفة مملؤة بالأمطار، شعر بها جاسم بتعب شديد؛ فاليوم هو الأول له بشركات والده عاصم الأنصاري، عمل بجهد حتى يثبت للجميع أنه عند حسن ثقتهم به، عاد بعد يوم طويل من ساعات العمل يقاوم صداع رأسه المؤلم؛ ليفق من غفلته على صوت اصطدام قوي للغاية، فتك على إثره بفتاة بريئة، هبط جاسم مسرعًا من سيارته؛ ليجدها غارقة ببحور من الدماء

ارتعب مما رأه، وغادر مسرعًا بسيارته قبل أن يراه أحد، لا يعلم بأن الله مطلع على كل شيء.

أخرج سيجارًا ينفث به عما حدث، لا يعلم أنها تستنزف صحته وتسوء حالته، استدار جاسم على صوت دفع باب غرفته بقوة كبيرة جعلته ينتفض، ليجد زوجة أخيه تبحث عنه بالغرفة، وما أن رأته حتى توجهت له بغضب:

_ أرأيت أخاك ماذا يفعل؟ خرج من المنزل بالأمس، ولم يعد لم يكتف بذلك بل يحدثني بطريقة مهينة.

وضع جاسم يده على رأسه، ألا يكفي ألم رأسه حتى تكمل هي عليه قال لها بحنق:

_مايا أخبرتك من قبل، أن المشاكل التي تحدث بينك وبين أخي لا ينبغي لأحد معرفتها، ولا حتى أنا.

مايا بغضب:

_ ولم لا أخبرك بذلك، فأنت رفيقي؟!!

زفر بغضب قائلاً:

_نحن هنا بمصر مايا، عاداتنا غيرعاداتكم، وأخبرتك كثيرًا، أنه لا يصح لك أن تدخلي غرفتي بتلك الطريقة.

مايا بصوت مرتفع:

_ كيف تحدثني بتلك الطريقة؟

كاد أن يجيبها ليجد العون من الله؛ صوت سيارة أخيه، هرولت مايا للأسفل بغضب يحرق الأبدان، وبقى جاسم ينظر لها وهي تركض للأسفل قائلاً بصوت منخفض:

_ كان الله في عونك أخي .

بالأسفل دلف رائد إلى الداخل، ليجد والدته تجلس على المائدة وتتناول فطورها:

_صباح الخير أمي.

ريهام بابتسامة:

_ صباح الجمال بني.

_لأين ذهبت؟

كانت تلك الجملة تخرج من فمها بصوت يحمل شرارات اللهب.

مايا:

سألتك لم لا تجيبني؟!

لم يعيرها انتباهًا، وتحدث مع والدته قائلاً:

_سأبدل ملابسي وأعود أمي.

ريهام باستغراب:

_حسنًا عزيزي .

وتركها تغلي من الغضب وصعد إلى الأعلى.

مايا بصوت محتقن من الغضب:

_ أرأيتِ كيف يتجاهلني؟

نظرت لها ريهام بغضب قائلة:

رأيت وشاهدت أيضًا طريقتك بالحديث.

كادت أن تتحدث لتقطعها ريهام عندما وقفت بحزم قائلة بصوت مرتفع:

حذرتك كثيرًا من طريقتك معه، تختالين أمامه بنفوذ والدك وهو لا يهمه شيئ، غضبه عاصف لا يقارن به إن كنت ابنة وزيرأو حتى خادم.

حاولت مقاطعتها مجددًا لتشير لها بيدها أن تستمع قائلة بنبرة تحذير:

_ فعلت ما رأيته مناسبًا، وحذرتك منه أفعلي ما شئتِ ولا تلومي إلا نفسك .

و تركتها وصعدت هي الأخرى، تركتها تحسم أمورها على أن تريه قوتها تخطو بطريق مجهول مع الرائد، ليجد لقلبه مفتاحًا أخر!!

الفصل الخامس

صراخ عاصف يملأ المكان، صاح بها سليمان عندما علم بخسارة شركته أمام الشركة الأخرى، طاح عقله كيف حدث ذلك؟؟!! لأول مرة يخسر فيها سليمان الأنصاري، جلس بغضب على المقعد بإهمال، فقلبه يوشك على التوقف لم يعد يتحمل كل تلك الضربات، لا يعلم أن من يواجهه الشبح، دلف السكرتير بخوف شديد ليصرخ به سليمان بجموح:

_أيها الأحمق, ألم أخبرك أن لا تزعجني مهما كلف الأمر؟

دلف بكبريائه المعتاد الذي لا يليق سوى به.

_جئت لأمر مهم.

سليمان بدهشة:

_ سيد ليث تفضل بالجلوس

ثم وجه حديثه للسكرتير:

أحضر شيئًا للسيد ليث.

أشار بيده قائلاً:

_لا أريد شيئًا اتركنا بمفردنا قليلاً.

وبالفعل استمع له وخرج، ليبقى الليث وسليمان الذي ينظرله باهتمام لمعرفة ما الأمر الهام الذي يريده به الليث،

نظر له قليلاً ثم تحدث بهدوء قائلاً:

_عرفت من يفعل بك ذلك

سليمان بلهفة لمعرفته:

_من هو؟؟أخبرني!!

ليث بجدية لا تليق إلا به:

_علمت اليوم بأمر خسارة شركتك أمام الشركة المنافسة.

سليمان بحزن شديد وغيظ أكبر:

_ لأول مرة يحدث هذا الأمر.

الليث:

_أعلم وعلمت من تسبب بذلك.

نظر له باهتمام ليكمل الليث بنظرات غامضة:

_شركة أُسست منذ أيام، تقبل العمل بأقل الأسعار الممكنة، تعرضها على العملاء لشَركاتك

سليمان بغضب:

_كنت أعلم أن ما حدث لم يكن صدفة هناك أحد يريد تدميري.

ليث:

_الشبح .

قُبض قلب سليمان عندما استمع لذلك الاسم ليقول بخوف فشل في إخفائه:

الشبح.

أكمل الليث قائلاً:

_لم يعرف أحد هويته, يلقبه من حوله بالشبح .

كاد سليمان أن يتحدث ليجد رنين الهاتف مقاطعًا له، رفعه بلا اهتمام ليأتيه الشبح فينقبض قلبه، كانت نظراته كفيلة بجعل الليث يجذب هاتفه ويفتح مكبر الصوت ليستمع لصوت قطار صادح:

....لا طالما سمعت عن الليث وذكائه، علمت بشركتي ولكن ماذا عن هويتي؟؟

سليمان بغضب:

_من أنت؟وماذا تريد؟

ضحك بسخرية ليخبره بصوت كزلازل الموت:

_ أخبرتك من قبل محطة موتك سليمان، أنا الانتقام، استعد لترى الجحيم على يد الجلاد.

وأغلق الهاتف بوجهه ليدفع سليمان الهاتف بعصبية شديدة.

ليث بهدوء:

_ أسمعت الصوت الذي كان بالمكالمة؟

سليمان باستغراب:

أجل، هذا الصوت أسمعه كل مكالمة.

ليث:

_صوت قطار. هل لديك حدث أو شيء لديه علاقة بالقطار؟

جلس على الأريكة وقلبه ينتفض رعبًا، كأن الليث حسم الأمر ليجعل الماضي يتراجع من جديد بدوامة ذكرياته المرتبطة بالقطار.

ليث بستغراب:

ما بك سيد سليمان أأنت بخير؟

سليمان بتوتر:

أجل, أشعر بصداع يهاجمني، سأعود القصر لأرتاح قليلاً .

ليث:

_حسنًا سأغادر الآن, وأعدك بأن أجده مهما كلف الأمر.

وغادر الليث الغامض تاركًا عرش سليمان الأنصاري يهتز من هجمات الشبح.

بمنزل أنس:

كانت تجلس بصمت فقط عيناها من تتحدث، جلست شذا بجانبها تنظر لها بحب قائلة بسعادة:

_لا أعلم لما قلبي يرتاح لرؤياكِ.

رفعت عينيها لها لتكمل شذا بابتسامة:

_هل تعلمين ليان, عندما يحب الله عبدًا يزرع محبته بقلوب عباده، يحبك الله فجعلك باختبار صعب، أعلم أنك تستمعين جيدًا لما أقوله أود أن أصير رفيقتك هل تقبلين؟؟ -كانت تشير لها بنظرات فهمتها شذا وسعدت للغاية -

فقالت بفرحة:

_لين ذهبت لتحضر بعض الأشياء، ولورا مستلقية بالخارج، وبقى أنا وأنتِ فقط، ماذا سنفعل الآن؟!

التفتت بالغرفة الخاصة بها لتجد المصحف الشريف بالخزينة الخاصة بها، فابتسمت لعلمها أنها كانت تحب القراءة به ولكنها الآن حُرمت منه، حملته شذا بعد أن اغتسلت وارتدت حجابها، وجذبت الكرسي المتحرك بالهواء الطلق، وجلست ترتل لها الآيات القرآنية بصوتها العذب لتتساقط دمعات ليان لاشتياقها للقراءة به .

كاد سليمان أن يُجن من الفكر، ما علاقة هذا الرجل بما حدث بالقطار؟

كاد الفكر أن يقتله؛ لينغمس في بئر انتقام الشبح.

قضوا الليل تضرع وصلاة لله، لم يذق طعم النوم بدونها، وقف يؤدي صلاته بخشوع وإيمان لله، وهي تقف على الجهة الأخرى تتعبد لله وتصلي القيام، سجد يدعو بأن يريح قلبه ويحقق ما يريد، سجدت تبكي بتوسل لله أن يرحم زوجها وأن يمنحها الصبر والسلوان، دعت بأن يمنحها الله الخير لها، فإن كان تقرب الليث خيرًا يقربه الله وإن كان شرًا يبعده عنها،

غفلت على سجادة الصلاة لتسبح بعالم الحرية، عالم لا قيود به ولا قوانين، رأته نعم, هو محبوبها, ركضت وهي تردد اسمه لعله يجيبها، ركضت بكل ما أوتيت من قوة والدمع يسيل على وجهها خشية من فقدانه، رأته بوجه مغموس بالدماء، ينظر لها برمادية عينيه الحزينة، اقتربت منه كثيرًا فرفعت يدها لتلامس وجهه ولكنه شفاف بالنسبة لها، لم تستطع إمساكه يقف أمامها وعيناه مسلطة عليها، ولم تقدرعلى

لمسه، صرخت بدموع له ليبتعد عنها كثيرًا ويتخفى خلف ظل كبير، ظل لشخص ملامحه تظهرأمامها تدريجيًا، نعم, هو الليث، وقفت تنظر باستغراب:

_لماذا يتخفى خلف الليث؟

تقربت منه باستغراب تتساءل: لما يتخفى خلفه؟

اقتربت منه بخطوات بطيئة كحال قلبها الذي ينبض ببطء، اقتربت لتبحث عن محبوبها خلف الليث، لتجده يحتمي به. أفاقت ريفال مفزوعة على صوت الفجر، قامت وهي شاردة من الذي رأته كيف ذلك؟ هل كانت هناك علاقة بين الليث وفارس؟ ظلت تلك الأسئلة تدور بخاطرها ولم تجد الأجوبة، قامت واستعاذت بالله من الشيطان وأدت صلاتها بخشوع، ثم تقدمت من الفراش وتمددت عليه بتفكير في ذلك الحُلم.

على الجانب الأخر:

كان بداومة من الفكر لم يذق طعم النوم، شارد بماضيه اللعين الذي جعله غامضًا، خطرت على باله حاول أن يزيحها من أفكاره، ولكن لم يستطع، قام ليفعل ما يريح قلبه جذب الورقه والقلم وأخذ يخط بضع كلمات نابعة من قلب ذاق أوجاع وآلام.

تسارعت نبضات قلبي لرؤياكِ

لم أستطع يوميا نسيان تعبيراتك

حفرت ملامحها بقلبي وتشبعت عيناي بهواك

لم أنس طلتك بفستان يشبه الفراشات

فراشة تحمل ألوان الحياة بعينيك

عيناكي بحرمن العسل الصافي

ينبع بالجواهر والذهب والألماس

لم أعلم كم يتعذب قلبًا هواك

دفع ثمن عشقك أفواهي

تلك الكلمات التي دونها الليث، كلمات غامضة كقلبه، رفع يده من فوق الكلمات يتأملها بتعجب، ظن أن بعد ما تعرض له سيفقد الكلمات، ولكن قلبه دام بالنبض والأشواق

زال الليل وأنارت الشمس المكان لتعلن يومًا جديدًا على الأزمان, قامت شذا من نومها بنشاط ,واغتسلت ثم ارتدت ملابسها وجذبت العنوان الذي أملته لها ريفال وخرجت, لتلتقي بالجميع بالخارج، ألقت عليهم التحية بابتسامة جميلة ثم غادرت للعنوان الذي بحوزتها، وغادرأنس بعدها بقليل، فهو يعلم بأنها ستعمل عند شقيق رفيقتها لا يعلم بأنه رئيس عمله، وقفت السيارة أمام بناءعملاق على الطراز الغربي، وقفت شذا تتأمل هذا الصرح العظيم بتوتر, حتى أنها كادت أن تتراجع ولكنها بحاجة للعمل, فتوكلت على ربها وتقدمت للسكرتارية وأخبرتها بأن لديها موعدًا مع السيد رائد، رمقتها السكرتيرة بنظرات مميتة, ثم رفعت الهاتف وطلبت سيدها الذي أخبرها بأن تدخلها على الفور, وبالفعل فتحت لها باب عملاق للغاية، دلفت شذا وقلبها يرتعب من الخوف لم تعلم لماذا؟! ولكنها تعلم أن الله معها، رددت آيات قرانية لعلها تريح قلبها، دلفت لتجد شابًا في منتصف العقد الثاني من عمره، عيناه تشبه الليل الكحيل, شعره أسود كثيف, بشرته بيضاء اللون, يجلس

على المكتب بوقار يتحدث بالهاتف, ولم يعرف أشاربعينيه لها وبيده فجلست تنتظره لينهي مكالمته, سرقت بعض النظرات لمكتبه كان يبدو أنه من طبقة مرموقة، ابتسمت بسخرية لأنها تعلم أنه حفيد سليمان الأنصاري. أنهى حديثه ليرى أمامه نسخةً من ريفال بارتدائها الحجاب الذي زادها جمالاً، خفض عينيه أرضًا قائلاً بابتسامة هادئة:

_إذًا أنت رفيقة ريفال؟!

شذا وعيناها أرضًا:

_أجل يا سيدي.

رائد:

_هل أحضرت الأوراق الخاصة بك؟

وضعت عيناها أرضًا بتوتر قائلة:

_أوراقي بالقاهرة لم يسعفني الوقت لإحضارها.

رائد بابتسامة بسيطة:

_لا عليك أخبريني بأي جامعة درست؟

أخبرته شذا عن مؤهلها وعن إمكانياتها بالعمل، سعد رائد بالحديث مع تلك الفتاة الخلوقة التي تضع مسافات وحدود لحديثها، أنهت حديثها ليخبرها هو بأنها من اليوم ستعمل مع السكرتيرة الخاصة به، وبإمكانها بدء العمل من غد،

سعدت شذا؛ فتلك المكانة عالية فشكرته وحملت حقيبتها وغادرت، لتصطدم بأحد ما فتسقط حقيبتها؛ رفعت عينيها لترى فتاة في بداية العقد الثاني من عمرها، ترتدي ملابس تظهر أكثر مما تخفي، تنظر لها

بتعالٍ وكبرياء، حتى لم تكلف نفسها عناءًا لتعتذر، تابعتها بعينيها فرأتها تدلفً مكتب رائد، فوجئ رائد بها بمكتبه فقال بضيق:

_من سمح لك بالدخول؟

لم تعيره اهتمامًا وجلست على المكتب بتعالٍ قائلة:

_من يستطع أن يمنعني سيد رائد؟

رائد بغضب:

_أغربي من وجهي وإلا قتلتك.

ضحكت بسخرية قائلة:

تقتلني أرني قوتك وأفعلها.

نظر لها كثيرًا ثم حمل هاتفه ومفاتيح سيارته وغادر, تاركها تنفجر غضبًا.

بمكتب الليث:

وقفت أمام المكتب بتردد؛ لم تعلم هل ما ستفعله الصواب أم لا؟ ولكنها تراجعت واستدارت لتغادر لتجده يهبط من سيارته وعيناه تقع عليٍها، اقترب منها بنظرات متعجبة وقف أمامها يتطلع لها باستغراب قائلاً:

_ماذا تفعلين هنا؟!

وضعت عيناها أرضًا من الخجل، حاولت جاهدة أن تتحدث ولكنها فشلت، فقال هوعندما لاحظ توترها:

_هيا نتحدث بالأعلى.

ريفال بارتباك:

_لا سأعود للمنزل.

وتوجهت إلي سيارتها لتقف على صوته قائلاً:

_جئت إلى هنا لتعودين, أعلم أن مجيئك إلى هنا لأجل شيء هام، إذا أبدلتِ قرارك أنا بالأعلى.

وتركها الليث وصعد إلى مكتبه بكبرياء، يراقبها من أعلى وهي تقدم قدمًا وتؤخر أخرى، إلى أن حسمت أمرها وتوجهت إلى الأعلى لتصدم به. ريفال بصدمة:

_خالد!!

الفصل السادس

ريفال بصدمة اجتزت أواصرها لرؤيته فقالت بدهشة:

_خالد؟؟!!

استمع لصوت بالغرفة فرفع عينيه ليجدها أمامه، اتجه إليها بخطوات تدنيه من الماضي الكحيل, وقف أمامها ينظر لها نظرات لم تفقهها هي.

خالد بصوت مخيف:

_ ما زالت على قيد الحياة!!

تساقطت العبرات من عينيها لتفهمها ما يريد قوله:

_ أجل، ما زالت على قيد الحياة، ولكن قلبي توقف عن النبض بفقدان محبوبي.

خالد بسخرية وهو يرمقها بنظرات متفحصة:

_أجل أرى ذلك.

أخبريني لماذا أتيت إلى هنا؟!

أتاه صوت الليث حينما قال:

_لرؤيتي.

تعجب خالد عندما وجد الليث أمامه

ليث بهدوء وهو يقف ويستند على باب غرفة مكتبه بكبرياء:_ هل من الممكن أن نتحدث بالداخل أما تريدين الحديث هنا!!

توجهت ريفال للداخل بخجل شديد، فدلف الليث هو الآخروجلس ينظر

لها حتى تتحدث، ولكنها كانت مرتبكة لا تعلم كيف تبدأ بالحديث.

ريفال بتوتر:

_هناك أشياء كثيرة لم تعرفها عني جئت لأخبرك بها.

نظر لها الليث نظرة طويلة متفحصة، فكانت تتحدث بعين تمتلئ بالدمع موضوعة أرضًا من الخجل، نظرًا لمعاناتها بالحديث بنبش ماضي أليم لها. لتحاول جاهدة قائلة:

_تزوجت من قبل.

ثم أكملت بدموع فشلت في كبتها:

_مازلت أحبه حتى بعد وفاته، جاهدت كثيرًا لأمحو عشقه من قلبي ولكني لم أستطع.

صمتت قليلاً ثم قالت:

_لا أعلم إذا كنت ساقوى على نسيانه أم لا؟

أخبرتك لأني لم أقبل بخداعك أو بالكذب، أزاحت دموعها وتناولت حقيبتها ثم توجهت للخروج، لتقف عندما تستمع لصوته الآمر قائلاً:

_لم أطلب منكِ الرحيل.

تراجعت بخطوات مرتبكة للخلف ليشير لها بعينيه على الجلوس؛ انصاعت له وجلست، أسند رأسه على المقعد قائلاً:

_لكلينا ماضيه وذكرياته الأليمة أوجاع تحطم قلبه، أريدك بحياتي لأجل ابني، لن أطلب منك سوى مراعاة ابني.

تطلعت له بصدمة ليكمل هو:

_هل كنت تظنين غيرذلك؟

أشارت له برأسها بمعنى لا, حملت حقيبتها وتوجهت للخروج تحت نظراتٍه المتفحصة لها، خرجت لتلتقي بنظرات خالد النارية، نظرت له قليلاً حتى سال الدمع من عينيها وغادرت.

بأحد المخازن جلس على المقعد بغضب شديد، نظراته تجول المكان بتوعد حتى اجتمع الجميع أمامه بخوف، يعصف بهم، كانت عيناه تتفحص كلا منهم بهدوء على عكس العاصفة بداخله، سليمان بنبرة مخيفة:

_لم أحصل على إجابة تناسب سؤالي.

الشاب بخوف:

_ أخبرتك سيدي طعناه وألقيناه من القطار.

سليمان بصوت زلزل الجبال:

_أين جثمانه؟؟ لم أرَ له جثمان.

الشاب:

_ لم يستطع أحد العثور عليه.

شاب آخر:

_ربما دهسه قطار آخر.

سليمان بصوت يحمل الغضب بأحضانه:

_ربما؟!ليست بقاموس سليمان الأنصاري.

ثم جذب الشاب بغضب شديد قائلاً بصوت كفحيح الموت:

_ سأمنحك ثمان وأربعين ساعة تنبش بالماضي، أريد معلومات أكيدة وإلا اقتلعت عنقك. أسمعت؟؟

الشاب بخوف:

_أجل يا سيدي.

دفعه سليمان بغضب:

_ أغرب عن وجهي.

هرول الشاب ومعه رجاله؛ لكي يبحثون بالماضي الدفين كما أمرهم سليمان، أما هو فجلس يرتشف الخمر الذي حرمه الله المغيب له من الواقع.

مر اليوم بسلام وأتي المساء بقصر الليث، كان يجلس شاردًا في الفهد وتصرفه؛ فهوأعلن الحرب وبانتظاررؤية رد فعل الليث، جلست والدته بجواره لتراه شاردًا؛ فحزنت على ما به، لديه الكثير والكثير ليحارب لأجله.

جواهر بحزن:

_ما بك بني؟!

انتبه ليث لها فرسم بسمة صغيرة قائلاً:

_لا شيء أمي.

وضعت يدها على كتفيه بحنان قائلة:

_أمازالت تتذكر حادث القطار؟

نظر أمامه بغضب قائلاً:

_وهل ينسي الليث أمرًا؟

تساقطت الدموع من عينيها قائلة بصوت متقطع:

_لم أصدق ما أوصله المال، كيف سولت له نفسه أن يحاول قتل ابن أخيه؟!!

الليث بغموض:

فهد من فعلها وليس هو.

جواهر بغضب:

فهد يتبع أوامره بني.

كاد أن يتحدث ليقطعه الخادم بأن أعلمه بأن سليمان الأنصاري بانتظاره بالأسفل؛ تعجب الليث ثم هبط ليري ماذا يريد.

أما جواهر فغرقت ببحور من الآلآم .

فلاش بااك

جلست تنتظرعودته ولكنه تأخر، فجذبت هاتفها وطلبته ليأتيها صوته الحنون ليخبرها بأنه سيسافر للإسكندرية لشيء مهم وأنه بالقطار مع فهد، تعجبت من ذلك ولكنه أخبرها بأن الفهد لم يجد وسيلة أخرى للعودة، أخبرته بأن ينتبه لنفسه,

وأغلقت لتتركه يواجه الخداع، حاول الفهد قتله كثيرًا ولكنه فشل، فاستغل وقوفه شاردًا من باب القطارثم دفعه بالقوة للخارج، تذكرته وتذكرت الماضي ليفزع قلبها خوفًا من أن يحاولوا قتله مجددًا، هي لم تعد تمتلك سواه لن تستطيع مواجهتهم بمفردها، كيف ستحمي حفيدها، بكت جواهر وطلبت من الله العدل لها ولما حدث، بكت كثيرًا وهي تعلم بأن الله عادل لا يضيع حق مغلوب ولا مقهور.

بالأسفل:

هبط الليث بكل ثقة ليجد سليمان يجلس بخوف شديد، جلس هو الآخرباستغراب من حاله حتى أنه يبدو بغير وعي، ليتحدث سليمان بصوت مضطرب قائلاً بخوف شديد:

_أشعر بأن شيئًا غريبًا يحدث، هذا الرجل الذي يحدثني هو بالفعل شبح.

تعجب الليث وانكمشت ملامح وجهه ليكمل سليمان:

_شبح فارس، لانت ملامح وجه الليث ليتحدث بسخرية:

_ شبح!!!

سليمان بخوف:

_نعم

انفجر الليث ضاحكًا ليكمل سليمان:

_استمع لي جيدًا، لقد أخبرني بأنه ماض مرتبط بالقطار.

صمت قليلاً ثم قال بغضب:

لقد أمرت رجالي بقتله بذلك القطار.

توقف عن الضحك لينظر له طويلاً ثم تحدث بهدوء:

_من؟

سليمان بغضب:

_ ابن خادمي, تجرأ على النظر لريفال فأمرت بقتله.

نظر له الليث بشك قائلاً:

_زوجها.

صُدم سليمان بمعرفته بالأمر فتحدث بغضب جامح:

_تزوجها بدون معرفتي وكان عليَّ الانتقام منه،هربت معه ريفال وتوجها بالقطار إلى الأسكندرية.

ليث بنظرات غامضة:

_ ماذا حدث بالقطار؟

سليمان باندفاع:

_تمسكت ريفال بذلك الأحمق، ورفضت أن تتركه كممت فمها وتركته لرجالي، الأغبياء طعنوه وألقوه من القطار،

وها هو يطاردني من جديد.

اقترب منه الليث قائلاً:

_تلك الجريمة بشعة للغاية, لم أكن أعلم أن بإمكانك القتل سليمان.

سليمان بغضب:

_ جزاء من يتجرأ وينظر للأسياد.

نظر له الليث قليلاً ثم قال:

_ماذا تريد؟

سليمان:

_علينا بتعجيل الزفاف.

الليث باستغراب:

_ لأجل ماذا؟!

سليمان بعين تحمل جمرات الغضب:

_لا أعلم إن كان على قيد الحياة أم لا، ولكن هناك خطرًا يقترب مني، أشعر به أريدك بجانبي.

ليث بهدوء:

_ أخبرتك من قبل أنا بجانبك.

ثم أكمل بخبث:

_على كل حال موافق، حدد الموعد المناسب لك ولها.

ابتسم سليمان قائلاً:

_ بعد الغد.

اكتفى الليث الغامض بإشارة بسيطة له، غادر سليمان تاركًا خلفه عينين تنظران له بلهيب الحقد والانتقام.

بالأسكندرية:

عاد أنس من الخارج ليجد شذا تتحدث بحب مع ليان وتخبرها عن حالها، وليان تستجيب لها بالضحكات أدمعت عيناه لرؤية ابتسامة بسيطة على وجه ابنته، دلف ببطء وعيناه تحمل دموعًا، سعادته كانت لا توصف ركضت لين له بفرحة عند رؤياه لتجده ينظر لليان بسعادة؛ ففرحت هي الأخرى.

لين:

_ ليان أحبت شذا أبي, تبتسم لها ودائمًا تبحث عنها بعينيها

ابتسم أنس ودموع سعادته بعينيه، وقفت شذا لرؤيتها أنس بتلك الحالة، فنظرت له باستغراب لتجده يقترب من ليان وانحنى لها بسعادة واضعًا يده على وجهها بحنان، ابتسمت هى الأخرى لرؤيته سعيدًا؛ فهو يستحق ذلك، فعل لها المحال من يرى فتاة بمنتصف الليل ويجلبها لمنزله ويعاملها كأنها ابنته.

جاءت إليه راكضة والغضب بعينها قائلة بصوت مرتفع:

_أين الحلوي؟

تطلعوا جميعًا لتلك الصغيرة التي تنظر لأنس بغضب لعدم إحضارالشوكولا لها وانفجروا ضاحكين؛ ليحملها أنس بين ذراعيه بحنان قائلاً:

_أعتذر منك صغيرتي لقد نسيت أمرك.

لورا بغضب طفولي:

_لا أريد الحديث معك, فأنا غاضبة منك.

ضحكت لين وقالت:

_ أحسنت القول عزيزتي؛ فأبي سريع النسيان.

شذا بنبرة جادة بعض الشئ:

_لا يصح لك الحديث هكذا لورا هيا اعتذري على الفور.

أنس بغضب لبكاء لورا:

_لا تُحدثيها هكذا.

جفف دموع الصغيرة بيده وحملها وهبط إلى الأسفل؛ ليشتري لها ما تريد، حمدت الله كثيرًا لرزقها بهذا الرجل الحنون فلم يكن أبوها معهم هكذا.

وقفت تتأمل الليل المظلم كحال قلبها الخالي من الحياة، كم تمنت حياة هادئة بعيدًا عن القصور، أرادت محبوبها فقط لم ترد سواه، أرادت العيش معه بهناء ولكنها لم تحظى به, مرت اللحظات عليها كالسهام لتذرف دموعًا وأوجاعًا أغمضت عينيها تتذكر ذكرى الفراق، فراق حال بينهما لتصبح بلا هوية.

فلاش بااك

صعدا معًا على قطار متجه للإسكندرية، كانت ريفال تشعر بسعادة الكون جميعًا، نظرت له بابتسامة لتجد البسمة مرسومة على وجهه هو الأخر، كان القطار فارغًا من حولهم؛ فالوقت متأخر للغاية الساعة الرابعة صباحًا نظرلها بعشق جارف ليجد السعادة تزين عيناها.

فارس:

_أحبك ريفال، لم أشعر يومًا بسعادة كالتي أشعر بها الآن.

ريفال بشئ من الخوف:

_وأنا فارس سعيدة بزواجنا، لكن بداخلي خوف شديد من تصرف جدي.

احتضنها فارس بحنان قائلاً:

لن يقدر على تفريقنا ريفال، أنت لي لو وصل بي الحال للتضحية بنفسي لأجلك لن أتاخربذلك.

وضعت يدها على فمه بخوف شديد قائلة:

_لا تقول هذا مجددًا, الله معنا لم نفعل شيئًا خاطئ.

بل فعلت عزيزتي، كان صوت الهلاك يأتي من خلفهم، العاصفة التي ستفرقهم، استدرات لتجده يقف أمامها ومعه عدد كبير من رجاله، وقف فارس بوجههم بشجاعة وجذبها خلف ظهره.

سليمان بسخرية:

_ أليس هذا الرجل شجاع؟!!

ضحك رجاله بشدة فقال الفارس بغضب جامح:

_ الشجاعة تكفي لقتل حمقى أمثالكم.

لم يكمل كلماته وهجم عليه الرجال ليتصدى لهم بشجاعة كبيرة، لم يسمح لأحد بالاقتراب منها، استغل سليمان فرصة انشغاله بالقتال وسحب ريفال بالقوة، صرخت به وتوسلت أن يتركهم ولكنه لم يستمع لها، وجذبها عُنوة ولكنها أبت فكمم فمها وحقنها بمادة جعلتها تفقد الوعي، سقطت على الأرض وعيناها تنغلق شيئًا فشيئًا وأخر ما تراه فارس وهو يركض إليها بذعر، فاستغل أحد منهم ذلك وهوى على رأسه بضربة قوية أسقطته أرضًا، ذرفت الدمع وهي تفتح عينيها بثقل وتراه يزحف ليتلمس يدها، بكت كثيرًا وهي ترى الرجال يحاوطونه وهومغيب بسبب الضربة الشديدة على رأسه،

أغلقت عينيها ولم تعد ترى شيئًا سوى الظلام، هورفيق بها بعكس هذا الوحش .

عودة للحاضر

فتحت عينيها بدموع كاللهيب أغرق وجهها كأنه جحيمًا لها، تذكرت ماحدث ودعت الله أن يرحمه ويسكنه فسيح جناته، كانت تعيش على أمل كاذب بأنه مازال على قيد الحياة، مرت الشهور وهي ترجو جدها أن يخبرها الحقيقة، ولم يرحها إلا عندما جلب لها عريسًا آخر، بكت ريفال مرددة كلمات تنبع من قلب ظُلم، رددتها بصوت مرتفع:

_يا رب، ها أنا ذا يا ربي أسير سجين في يدي الظالم، مغلوب مَبغيّ عليَّ مظلوم، قد قلّ صبري وضاقت حيلتي، وانغلقت عليَّ المذاهب إلاّ إليك، وانسدّت عليَّ الجهات إلاّ جهتك، والتبست عليَّ أموري في دفع مكروه عنّي، واشتبهت عليّ الآراء في إزالة ظلمه، وخذلني من استنصرته من عبادك، وأسلمني من تعلّقت به من خلقك، وغدربي وطعنني القريب الصديق، فاستشرت نصيحتي فأشارعليّ بالرغبة إليك، واسترشدت دليلي فلم يدلّني إلاّ عليك.

بكت ريفال مع كل حرف خرج من قلبها، بكت لاشتياقها له، لم تنعم بالراحة بأحضانه، نزعه منها بلا رحمة ولا إنسانية، لم يعلم بأن الله ينتصر للمغلوب.

الفصل السابع

بالصباح الباكر:

هبطت ريفال إلى الأسفل لتجده مزدحمًا بالعمال، لم تفهم شيئًا إلا عندما وجدت جدها يقف بالأسفل يشرف على العمل بنفسه.

ريفال باستغراب:

_ما الذي يحدث هنا؟!

استدار سليمان على صوتها وقال:

_ يعدون القصر للزفاف.

قُبض قلبها فقالت بارتباك:

_عن أي زفاف تتحدث؟!

اقترب منها سليمان قائلاً بتحدٍ:

_زفافك عزيزتي.

لم تستوعب ما قاله فنظرت له مطولاً ثم قالت بصدمة:

_زفافي أليس بعيد؟!

سليمان بهدوء مستفز:

_ وتعجَّل لأمور سريعة, هل لك من الأمر شيئًا؟

رمقته بنظرات نارية، نظرات لبحورمن الظلمات، لم ينته منها هذا

الرجل، تركته وخرجت مسرعة إلى الخارج تتمشي بين الزهور والهواء لعلهم الشفاء لقلبها.

بالإسكندرية:

اليوم هو الأول لها بالعمل، كانت السكرتيرة الأساسية تدربها على أشياء جديدة للعمل على مستوى لائق، كانت تستجيب لها بلمح البصر حتى أنها جذبت بعض الملفات وعملت عليهم، أعجب بعملها رائد؛ فكانت تعمل بحرفيةٍ شديدة بمكتب رائد، صدح رنين هاتفه برقم ريفال فالتقطه قائلاً بابتسامة:

_كيف حال أميرتنا.

أجابته بنبرة غير مطمئنة:

_بخير أخي.

رائد بدهشة:

_لا يبدو ذلك ما بك ريفال؟!

استمع لصوت بكائها فقال بلهفة:

_ماذا حدث؟

أخبرته بما حدث اليوم، وكيف أن سليمان حدد زفافها غدًا، غضب رائد ولكنه هدأ عندما أخبرته بحديث الليث الغامض، نجح رائد في تهدئة ريفال وإقناعها بأنها ستكون سعيدة بعيدًا عن هذا القصر، طلبت منه ريفال بأن يخبر شذا بالأمر، وأن يجلبها معه الزفاف لرؤيتها، كاد أن يعترض لترجوه فيسرع بالحديث وتلبية طلبها، أنهى رائد معها الحديث

وتوجه للخارج ليجدها تجلس بهدوء، تعمل علىٍ الحاسوب بنظراتها الجميلة التي تخطف الأنفاس؛ فشذا تمتلك جمالاً رقيقًا تحافظ على حجابها الذي يجعلها كالملكة، اقترب منها رائد ثم جلس على المقعد الأمامي لمكتبها، فوقفت تنظر له بخجل ثم قالت بتلعثم:

_ تفضل بالجلوس هنا سيدي .

وكانت تشير على المقعد الخاص بها

رائد بابتسامة بسيطة:

_اجلسي شذا أريدك بأمرهام.

جلست شذا بتوتر تستمع إليه بإنصات ليتحدث هو بهدوء قائلاً:

_طلبت مني ريفال أخبرك بأمر زفافها غدًا.

صُعقت شذا وتحدثت مسرعة قائلة:

_كيف ذلك؟! أخبرتني أن الزفاف بعد شهر.

رائد بغضب مكبوت:

_لا يعلم أحد ما الذي يجول بخاطر سليمان الأنصاري.

زفر بغضب ثم قال:

طلبت مني إحضارك معي غدا.

وضعت عينيها أرضًا خجلاً؛ كيف ستذهب معه بمفردها؟

ليجيبها مسرعًا:

_ليس عليك شذا أحضري معك من تشائين.

سعدت كثيرًا وقالت:

_حسنًا, سأحضرمعي رفيقتي والعم أنس.

تاه في ضحكتها الساحرة وأقسم أنه بالعالم لم ير به سواها أزاح بصره عنها قائلاً بهدوء:

_حسنًا شذا، سلنتقي غدًا إن قدر الله لنا البقاء، أعطيني عنوان المنزل.

وأخذ منها ورقة صغيرة تحوي عنوان منزلها، ثم غادر لمنزله

بقصر الليث كان الخدم تعمل على قدم وساق؛ فغدا يوم حافل بالأزهارلزواج الليث، كان جوان سعيدًا للغاية؛ لأنه أحب ريفال كثيرًا، وكذلك جواهر كانت تعمل بسعادة، أعدت لهما جناحًا مميزًا بأكبر فندق بالإسكندرية تلك مفاجأة خفية لهما، الجميع يرفرف قلبهم بسعادة إلا هو يجلس بغرفته بصمت، تأتي إليه الذكريات الماضية، ذكريات مؤلمة تفرض سيطرتها عليه، مجهول يطارده لا يعلمه أحد سواه.

عاد رائد إلى المنزل وهو كالمغيب؛ فتلك الفتاة تأبى تركه ضحكاتها تسيطرعليه، يراها أمامه بحمرة خجلها التي تسيطرعليها عند رؤيته، كم تمنى يومًا أن يتزوج من فتاة محتشمة، ولكن فُرض عليه الزواج من مايا لأجل سلطة والدها، لم يستطع مخالفة أوامر سليمان الأنصاري، لم يكتف بشراكة والده مع والدها بالخارج بل أراد توثيق العلاقة لزواج، توجه لغرفته ليجدها بالداخل تتحدث بالهاتف مع شخص ما، وما إن رأته حتى أغلقت سريعًا تعجب رائد من تصرفها وتصنع اللامباله، ولكنه يعلم بأن هناك شيئا ما، أبدل ثيابه وتوجه لمكتبه بالأسفل حتى لا يلتقي بها، دلف مكتبه بهدوء وفتح حاسوبه ليعمل ولكنه لم يستطع؛ فهي تستحوذ على عقله، انساق لرغبات قلبه ليجذب ورقة وقلمًا ويرسم وجهها بكل التفاصيل، رسمها باحترافية شديدة أنهى الرسمة ووضع

القلم بتعجب، لم يعلم ما الذي يحدث لقلبه، لا طالما ظن أنه لم يعد له قلبًا، صُدم عندما شعر بنبضات قلبه ليعلم أنها ربحت قلبًا هوى القسوة والجفاء، تلك الفتاة فعلت العجاب ببضع ساعات، أفاق رائد من دوامة الأحلام التي ينسجها على صوت طرقات على باب الغرفة خبأ الإسكتش سريعًا ثم فتح حاسوبه قائلاً بجدية:

_ تفضل.

دلف أخوه وقسمات وجهه لا تريح، خطى خطوات بطيئة ثم جلس بالمقابل منه، تعجب رائد من حال أخيه، فقام وجلس بمقابلته قائلا بقلق:

_ما بك جاسم؟

نظر له قليلاً ثم قال بصوت موجوع:

_ لست بخير أخي، لقد فعلت ذنبًا كبيرًا لا يغتفر.

رائد باستغراب:

_أي ذنب؟عن ماذا تتحدث؟

جاسم بصوت متقطع من الحزن:

_من ثمانية شهورصدمت فتاة بسيارتي، كنت عائدًا من العمل متعبًا ولم أرها تعبر الطريق.

صُدم رائد مما سمع وزادت صدمته حينما أكمل جاسم حديثة:

_هبطت من السيارة مسرعًا، فوجدتها غارقة بدمائها، شعرت بالخوف وأسرعت إلى سيارتي مسرعًا قبل أن يراني أحد، تركتها أخي، ولكن لم يتركني الذنب، لم أتمكن من نسيان وجهها رغم أنه مر شهور، صورتها محفورة بعيني.

أراد رائد القسوة عليه، ولكن يكفي إحساسه بالذنب والدمع الذي يتراقص بعينيه، رائد بهدوء على عكس الغضب القابع بداخله: _ لماذا لم تبحث عنها؟

جاسم مسرعًا:

_بحثت ولكني لم أتمكن من العثور عليها.

أحتضنه أخوه بحب ليبث الاطمئنان بقلبه، أخبره أنه سيبحث عنها بنفسه وسيطالبها بالسماح، سعد جاسم كثيرًا وشكره ثم أنصرف، أما رائد فبقي يفكر بتلك الفتاة التي صدمها أخوه، خاف من أن تكون فارقت الحياة فيتحطم جاسم.

على صخر منحوت رسمت طريقي

وكسوته بلون الدماء ليعبر

عن أوجاع زُرعت بقلب عابر

عيناي تذرف دموعًا حارقة

تسطر سطور عذاب وآلام

تحولت لآلة للقتال ونسيت أن قلبي إنسان

جاهدت لأحصل على السلوان ولكن قلبي صار مكسورًا

تلك الكلمات رددها قلب الليث الذي يتأمل ابنه الغافل على يده، عيناه بها ألف سروغموض، لم يعلم أحد فك تلك الألغاز بعينيه،

حمل الليث جوان إلى غرفته، ووضعه على الفراش برفق، ثم دثره جيدًا وقبَّله بحنان، كاد أن يتوجه لغرفته ولكن وجد صغيره متعلقًا بيديه،

إنحاز له وتمدد بجانبه يحتضنه بخوف من القادم؛ فهو قد بدأ الحرب بطريقته الخاصة على جميع الأطراف،

بدأ الحرب بالحق فالعين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم.

عادت شذا إلي منزلها، وقصت لأنس عن رفيقتها وعن الزفاف، وطلبت منه أن يذهب معها هو وليان ولين، كان معترضًا ببادئ الأمر، ولكنه تراجع عن رأيه عندما رأى سعادة لين، فكم تمنت رؤية القاهرة ولم يسعفه الوقت لها، كذلك سعدت شذا لرؤية رفيقتها، فكم تتمنى رؤياها والبكاء بأحضانها، أقامت شذا الليل وانتظرت حتى أدت صلاة الفجر، وقرأت وردها اليومي من القرآن الكريم، وتوجهت للنوم لتراه بأحلامها يبتسم ابتسامته التي تزيده وسامة على وسامته، ينظر لها بحب طغى على قلبها ليدق مسرعًا هو الآخر.

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

صدق الله العظيم

تلك آيات قرأتها ريفال؛ لتريح قلبها، كلمات ترتلها بصوت يملأه الخشوع لله الواحد الأحد، أغلقت المصحف الشريف ووضعته جانبها ثم تمددت على الفراش وعيناها لا تهدأ، قلبها لا يتوقف، تشعربالخوف لا تعلم ما الذي يخيفها فقط تخاف المجهول.

---

*ــكان يغط بنوم عميق، ليفق على صوت هاتفه الذي أصبح جزءًا من حياته المتحطمة، رفع الهاتف ليستمع لصوته الذي سلب النوم من عينيه:

_نم سليمان، فأيامك أوشكت على الانتهاء قريبًا ستُحرَم النوم.

سليمان بغضب وصوت أفزع سوزان:

_من أنت أيها اللعين؟

_أخبرتك من قبل، أنا الموت ...

وأغلق الهاتف لينتزع النوم من عينيه.

سوزان بقلق:

_ أأنت بخير سليمان؟

سليمان بعصبية شديدة:

_أغربي عن وجهي الآن.

وبالفعل خرجت سوزان مسرعة تاركة سليمان بحيرة من أمر الشبح.

لا يعلم أنه حوله بكل مكان، اسمًا ناله باكتساح شبح، وأضاف له الانتقام ليصبِح وحشًا كاسرًا، ترك سليمان الغرفة وخرج للتراس يريح أعصابه قليلا ليأتيه إنذارهلاكه؛ رسالة على هاتفه، فتحها بدون اكتراث ليتصلب من الصدمة صور لمستندات خطيرة تجعله يعبر الإعدام شنقًا، هنا علم بقوة عدوه، هنا علم بقوة الشبح، وما يستطيع فعله.

الفصل الثامن

طلت شمس جديدة على قصرٍ سليمان الأنصاري، كأنها تعلن بداية شيء مجهول، كانت الترتيبات قد أُعدت على أفخم ما يكون؛ فاليوم زفاف الليث على حفيدة سليمان الأنصار،حتى بالرغم من انخلاع قلبه على ما عرفه بالأمس إلا أنه حرص على تميز الزفاف، قد أوشكت المدة التي منحها لرجاله على الانتهاء؛ حتى يهدأ قلبه لمعرفة من الشبح الذي يلحق به.

بالإسكندرية:

أرادت مايا السفر مع رائد وعائلته ولكنه رفض لأجل حملها، غضبت ولكنها انصاعت لأمره بالنهاية لشيء ما تخفيه لم تعلم بأنه ترك عينان خلفه، توجه رائد للعنوان المذكور ليُصدم بأنس العامل الذي جعله يفيقٍ لأشياء كان غافلاً عنها، لم تكن صدمة أنس أقل منه بل تزداد أضعافاً؛ لرؤية رئيس عمله ولكنه تذكر حديث شذا عن رائد الأنصاري فضحك بسخرية على غبائه، أما رائد ففقد قدرته على الحديث عندما رأى تلك الحورية الجميلة التي تتألق بفستان أحمرعلى حجاب أسود أبرز لون عينيها، هنا حسم أمره بأن تكون زوجته، لم يرد إغضاب الله سبحانه وتعالى لأجل فتاة، استقبلهم بابتسامة جميلة حتى أنه مزح مع أنس طوال الطريق، لم يمنعه ذلك من مراقبتها عبر المرآة يرى ابتسامتها المنبعثة من قلبها على لين، فلم تكف عن الحكي بطريقتها المرحة منذ أن صعدوا للسيارة، أما أنس فقد كان بحيرة من أمره، فلطالما سمع

عن كبريائه ولكنه على خلق، كيف لرئيس عمله أن يجعله يجلس بجانبه ويحادثه بتواضع ملحوظ.

بقصر سليمان الأنصاري:

ارتدت ريفال فستانًا بسيطًا جعلها كالأميرة، وتميزت بحجابها الأبيض الذي زاد من جمالها، كانت تجلس على الفراش بحزن مخبأ خلف تلك العينين، دلفت سوزان فانبهرت بجمالها ولكنها حزنت عندما قرأت الحزن القابع بعينيها، لم ترد مال ولاغنى أرادت محبوبها فقط، تزف بفستان أبيض وقلبها ليس مثله كأنها تزف للموت، لم تشعر بدموعها التي تهبط في صمت، تذكرت فارسها الذي منحها كثيرًا من الوعود، بكت ريفال بأحضان جدتها فلم يتركها الزمن ودهس أحلامها كسرها، ولم يكتف بذلك بل أكمل على ما تبقى منها ربما قسوة ربما حقد ربما مجهول؟؟!!

بالأسفل:

حضر الحفل مجموعة من الطبقات الراقية بالمجتمع، فلم لا واليوم زفاف الليث، كان الجميع يرسمون ابتسامة على ثغرهم باحترافية، أما هو فوقف منعزلاً عن الجميع يشغل باله الكثير، لم يعلم أحد ما يدور بخاطره، نظراته غامضة لجوان ووالدته،

وصل رائد الحفل ومعه أنس، وشذا، ولين، ولورا، لم يقبل أنس بإحضار ليان لحالتها الصحية حتى شذا حاولت إقناعه ولكنها فشلت، وقفت شذا تنظر للزفاف بانبهار لكن قلبها تحطم لتذكر حال رفيقتها، عليها أن تكون قوية لأجلها دلف الجميع للداخل بانتظار العروس، فتأخرها لفت أنظار الجميع؛ فصعد سليمان لإحضارها بخطوات قاسية كقلبه الذي فقد الإنسانية، وبالفعل وجدها تجلس بالداخل بأحضان سوزان، فجذبها من

معصمها بالقوة قائلاً لها بصوت كالفحيح:

_ تذكري ما أخبرتك به خطأ صغير وسأقتلع عنقك.

لم تكلف نفسها عناء الرد، كيف تجيب رجلاً لم يمتلك قلبًا ليشعر بدموعها، كانت نظراتها كفيلة بقذف جمرات من جحيم على هذا الطاغية، وجذبها بالقوة إلى أسفل لتزداد دموعها بصمت كأنه يزفها للموت، كل خطوة تخطوها كأنها تخطوعلى أشواك تفتك بها،

كأنها تقترب من الجحيم بيدها، كانت تشعر بتوقف نبضات قلبها شيئًا فشيئًا، لم تشعر به رفعت عينيها لتجده يقف أمامها، لم تعلم لما شعرت بالأمان بعينيه التي تبث لها الطمأنينة، شعرت بأن قلبها عاد للحياة، بعينيه نظرات فقط كانت كالسحابة التي حاوطتها من الرعد والعواصف، غرقت بعينيه الرمادية التي أغرقتها بذكريات، أغلقتها بصعوبة شعرت بأنها تنجرف لذكريات تركت جرحًا عميقًا بقلبها، لم تشعر بمن حولها كأن العالم لا يوجد به سواها، وتلك العيون الغامضة التي تأبى ترك عينيها، لم تشعر بالزفاف ولا بعقد القرآن، فقط تشعر بأشياء من الماضي تلاحقها، كانت شذا تتابعها بعين تلمع بالألم والدمع، فهي التي تشعر بجرحها الكبير، لا يشعر بألم القلب سوى من مر به، حتي رائد يحمل نفس الألم، كانت نظراته لتلك الفتاة التي سلبت قلبه، أراد أن يتحدى الجميع لأجلها، سيحطم عرش سليمان الأنصاري بالزواج بها, هناك من كان يتابع كل ذلك بأعين تلمع بالسعادة, نعم هو تمنى الانتقام لرفيقه ولكنه وجده بطريق آخر مجهول,كان ينظر لهم بسعادة تلمع بعينيه إلى أن أفاق على فتاة صغيرة تركض من جانبه، جذب انتباه خالد تلك التي تركض خلفها لتمسك بالصغيرة فتاة في بداية العقد الثاني بملامح هادئة وعينين باللون الأخضر كخضرة الأشجار، تمسكت لين بلورا قائلة بغضب:

_ألم أخبرك أن لا تتركي يدي؟!

الصغيرة بضحكة عالية:

_أجل, ولكنك لم تمنعيني من اللهو.

ضحكت لين على تلك الصغيرة وحملتها بين ذراعيها، ودلفت للداخل لم تر ذلك الذي أسرت قلبه منذ الوهلة الأولى.

تم عقد القران، وصارت ريفال زوجته شرعًا وقانونًا، أحست أنها بدوامة لا تعي شيئًا كأنها دُمية تتحرك بلا روح، مرت ذكرياته بخاطرها فرأته يقف أمامها يبتسم بعد طول غياب، انتهى الزفاف وصعدت معه بالسيارة احتضنها البعض وهنأها الآخر ولكنها لم تشعر بأحد حتى رفيقتها لم تشعر بوجودها، جلس بجانبها بالسيارة وعيناه تتفحصها بصمت، أرد احتضانها ليخفف عنها ما تشعر به، ولكن شيئًا ما يمنعه من ذلك، شيء بدأه هوٍ ويعلم كيف ينهيه، يعلم أنها ليست ملك الليث بل ملكًا لشخص آخر ملكا للمجهول

تتبعها خالد إلي أن رأها تقف مع شذا، نعم هو يعرفها جيدًا رأها كثيرًا برفقة ريفال، دعا الله أن يجعلها زوجة له، نعم لم يمتلك سوى الدعاء، فعليه اهتمامات أخرى عليه أن يشفي جرح قلبه من سليمان الأنصاري، ثم يفكر بإنشاء حياة جديدة.

لم يحضر جاسم الحفل وجلس بعيدًا عن الجميع، جلس يسترجع ذكريات تلك الفتاة، فكم يشعر بذنب يحتل قلبه فيجعله يتألم بصمت، كم تمنى أن يعود به الماضي؛ ليحملها إلى أقرب مشفى ويتكفل بعلاجها، توجه

إليه رائد بحزن فهو أصبح على علم بحالته بالفترة الأخيرة بعد أن أخبره بما حدث، جلس بجانبه بنظرات متفحصة له ثم قال بصوت يملأه الحنان:

_لا عليك أخي سنجدها إن شاء الرحمن .

رفع عينيه المغمورة بالندم قائلاً:

_ وهل ستسامحني؟!

رائد بابتسامة جميلة:

_أجل، من يطلب العفو يناله أخي، سأبحث عنها أخبرتك من قبل دع الأمر لي.

ثم وقف وأشار له بيده قائلاً:

_هيا سنعود للإسكندرية.

وكاد أن يرحل ولكنه تصلب مكانه عندما استمع لكلمات شقيقه:

_أشعر أن تلك الفتاة سرقت قلب أخي حقًا.

نظر له بغضب مصطنع ليضحك جاسم بصوت مسموع قائلاً بمزح:

_لا عليك أخي.

جذبه رائد من قميصه بجدية قائلاً:

_لا أريد لأحد أن يعلم بشيء سمعت، سأتزوج بها وسأعلن للجميع ذلك، ولكن عليَّ الانتظار لحين ولادة مايا.

جاسم بجدية:

_ لا تخف أخي، لن أخبر أحد بشيء.

ابتسم رائد وقال بمزاح:

_ حددنا الزفاف ومازالت لم أطلبها للزواج. هيا نعود للداخل

ابتسم هو الآخر وتواجه معه للقصر .

وصلت السيارة أمام قصر الليث، فأخذت ريفال تتطلع له باهتمام؛ فهو ملفت للأنظار بأزهاره الجميلة التي تعشقها ريفال، ارتسمت على وجهها ابتسامة لا إرادية عندما رأت أزهارًا من نوع خاص تعشقها ريفال، لا تعلم بأن من صنعها هو مجهول يعلم بعشقها لهذا النوع من الأزهار، لا تعلم بأن سعادتها ربما تتحول لشقاء وربما لفرحة تكفي الكون بأكمله، فكلما اقتربت السيارة من القصر كلما وقعت هي بالماضي والمجهول, مجهول طريقه يوصل لاسم واحد يلمع بشعلة الانتقام، ولعنة الدماء

طريق ينتهي بالشبح .

الفصل التاسع

دلفت معه إلى القصر بخطوات بسيطة متعثرة، لم تعلم بأنها تقترب من مجهول مريب، استقبلتها جواهر بابتسامة تحمل الحنان؛ فهي تحبها كابنتها التي لم تلدها، وكذلك ريفال تشعر بالارتياح لها، تركها الليث بالأسفل وصعد إلى غرفته غير عابئ بها مما أثار دهشة ريفال فتأملته إلى أن اختفى طيفه من أمامها، حتى جواهر تعجبت منٍ ردة فعل الليث، قطعهم جوان عندما ركض باتجاه ريفال بسعادة قائلاً:

_أخبرني أبي أنك ستكونين أم لي، هل هذا صحيح؟

تمزق قلبها لحديث الصغير فانحنت لمستواه وقالت والبسمة تزين وجهها:

_أجل يا صغيري، أنا والدتك.

ابتسم جوان وكذلك جواهر التي تتابعهم بصمت.

تطلع الليث من أعلى بعد أن خلع جاكيته قائلاً لجوان بجدية:

_ الوقت تأخر جوان، أخلد للنوم .

جوان بحزن فهو أراد الحديث معها:

_أجل سأفعل.

ثم وجه حديثه لريفال قائلاً بابتسامة تزين وجهه:

_ستأتين معي للحديقة صباحًا.

ريفال:

_أجل يا صغيري.

جوان بعدم تصديق:

_وعد.

ضحكت بصوت منخفض قائلة:

_أعدك بذلك.

ركض بسعادة إلى الأعلى تحت نظرات الجميع, وقفت ريفال وعيناها تراقب الليث القابع بالأعلى ينظر لها هو الآخر،

فتقدمت جواهر منها وقالت بحنان:

_هيا يا حبيبتي ارتاحي قليلاً بغرفتك.

اكتفت بابتسامة صغيرة، وصعدت للأعلى بارتباك؛ فهي لا تعلم أينِ الغرفة التابعةِ لها، وصلت لأعلى لتقف أمام الليث بخجل عيناها أرضًا ترتجف خوفًا، رفعت عينيها لتقابل رمادية عينيه تنظر له بتعجب، طال الصمت وبقيت النظرات تقف بالقرب منه، ويفصلهم مسافات تشعر بتزايد نبضات قلبها وعيناها تأبى ترك عينيه، لا تعلم ما الذي يحدث!!قطع الصمت صوته قائلاً بنبرة هادئة:

_غرفتك بجانب غرفة جوان .

ريفال بتوتر:

_ وأين غرفته؟

نظر لها قليلاً يتأملها ثم تحرك قائلاً:

_اتبعيني .

سارت خلفه ببطء شديد إلى أن وقف أمام غرفة مغلقة، ففتحها وأشار لها بالدخول، وبالفعل دلفت الغرفة بخجل لترى بابًا آخر بمنتصف الغرفة، تعجبت ريفال وأخذت تنظر له بدهشة، لتجده يقف بالقرب منها شعرت بالذعر وتراجعت للخلف

فابتسم بسخرية وفتح الباب قائلاً:

_هذا الباب لغرفة جوان .

تطلعت لتجد الأمير الصغير ينام بعمق فارتسمت ابتسامة صغيرة على ثغرها، رفع الليث عينيه من عليه ونظر لها قائلاً: _أتذكر وعدي لك ريفال، لن أنكثه أبدًا، ثم تركها بدهشة من أمر هذا الرجل الغامض، ورحل وأغلق باب الغرفة خلفه بهدوء.

جلست على الفراش بتعجب، لم تتمكن من فهم هذا الليث، ولكن لا عليها كل ما يهمها هذا الصغير، التعويض لها من الله عز وجل، قامت وبدلت ثيابها ثم ارتدت إسدالها، وصلت قيام الليل فهي اعتادت على ذلك، أنهت صلاتها وجلست على الفراش تفكر به، تتذكر عينيه الغريبة، عيناه تجعلها تتذكر الماضي فتتألم، كم تتمنى أن يعود لوضع الستار العازل لعينيه فيرحمها من عذاب ماضٍ أليم يجرح قلبها، حاولت النوم ولكنها فشلت بذلك، فخرجت إلى الشُرفة تنتظر الفجر لتؤدي صلاتها ثم تخلد لنوم عميق، وقفت تنظر لهذا القصرالمبهج بالحياة على عكس قصر سليمان الأنصاري، كم تمنت أن تهبط لتلك الأزهار التي تعشقها ولكنها لا تعلم الطريق للأسفل؛ فاليوم الأول لها بالقصر وقفت تستنشق الهواء براحة كبيرة ولم ترى ذلك الغامض الذي يقف بالأعلى يتأملها

باشتياق، كم أراد الهبوط إليها واحتضانها ولكن عليه الصبر حتى لا يقطع ما بدأه الليث، سمعت الفجر يؤذن فرددته بخشوع ثم أدت صلاتها وخلدت لنوم حاولت جاهدة لنيله، ولكن من ارهاقها حظت به.

* * *

وصل رائد بسيارته أمام منزل أنس، فشكره كثيرًا وهبط هو والجميع، رمق رائد شذا بنظرات لم تعلم ما يريد إيصالها بها، ولكنها غضت بصرها عنه وغادرت معهم للأعلى، ابتسم رائد بحب على أخلاق تلك الفتاة، وتحولت ملامحه لكتلة من جحيم؛ عندما تذكر ما أخبره به رجاله, لم يحزن لما عرف عنها؛ فهو لا يحبها ولكنه رجل شرقي وعليه الثأر لشرفه.

* * *

حلَّ الصباح، واستيقظت ريفال ثم توجهت لغرفة جوان لتجد جواهر بالغرفة تساعده الذهاب لمدرسته، دلفت بابتسامة قائلة:

_ صباح الخير أمي كيف حالك؟

ابتسمت بسعادة لسماعها تلك الكلمة التي تمنت أن تسمعها منها، فلم يرزقها الله بإناث أجابتها بفرحة:

_بخير حال ابنتي.

ريفال:

_دائمًا وأبدًا بإذن الله.

ثم اقتربت من جوان قائلة بنبرة طفولية:

_أيحب أميري أن أساعده.

جوان بفرحة وسعادة:

_أجل أمي.

وبالفعل تقدمت منه ريفال وساعدته بمحبة كبيرة تحت نظرات جواهر بشكر الله على تعويضه بريفال، توجهت معه للخارج وساعدته على ركوب الحافلة ثم ودعته ببسمة حُرم منها، أدخلت سعادة الكون بقلب هذا اليتيم غادرت الحافلة، وتوجهت للداخل لتلمح تلك الأزهار، فتركت طريقها وتوجهت للحديقة تتحسس الأزهار بفرحة وسعادة، لم تر الليث وهو يتأملها، لمحت ريفال شيئًا ما على بعد خطوات من الأزهار، اقتربت منها بتعجب لتبدأ لها بالبيان، ورقة تحمل كتابات حملتها ريفال وأزالت الغبار عنها لتجد جملة دبت الرعب بقلبها، علمت بقدومك فزرعت زهور تفضلينها.............

وقعت الورقة من يدها بصدمة، هي تعلم هذا الخط جيدًا لا يمكن أن تخطئ بتمييزه، جُن جنونها فرفعت عينيها بالأعلى، فوجدت الليث يقف بشموخ، نظرت له بدهشة ثم أخفضت نظرها من أشعة الشمس لتلمح طيفًا آخر يأتي من الجانب الخلفي للقصر، سارت بخطوات مرتعبة إلى الخلف، ارتجف جسدها عندما وجدت الشخص المقنع أمامها، نعم هو من رأته من قبل، تراجعت للخلف بزعر وأنفاس متسارعة، اقترب منها بخطوات أشبه للموت، لم تعلم ما الذي يحدث حتى الصراخ لا تقوى عليه، كبتت صوتها مما تراه فركضت مسرعة للقصر لتتفاجأ بجواهر تقف مع أشخاص تراهم لأول مرة، حتى أنها نظرت لهم بغضب عندما وجدتهم يزعجون جواهر، كادت أن تتحدث لكنها التزمت الصمت عندما وجدت الليث أمامها، هبط للأسفل على صوت والدته المرتفع ليجده بالأسفل بنظراته التي تشبه الثعلب الماكر, جلس الليث بثقته المعتادة والكبرياء الملازم لليث فقط.

جلس يتحداه بعينيه ليثبت له أنه مازال على قيد الحياة، كانت نظرات الفهد منحصرة على عينيه ليجده كسابق عهده بل أكثر قوة وكبرياء، جلست جواهر بارتياح لوجود صقرالحماية لها تحتمي به، حتى صلاح

جلس بخوف ورهبة من الوحش الثائر القابع أمامه بكبرياء، يضع قدمًا فوق الأخرى بتعالٍ كأنه يثبت للجميع أنه مازال كسابق عهده، وأخيرًا أزال الصمت بكلماًته الرعدية حينما قال بصوت زلزل جدران القصر:

_لما كلفت نفسك عناء المجئ إلى هنا، كان يكفي مكالمة تطمئن بها أني ما زالت على قيد الحياة.

ارتعب صلاح وتخشب بمقعده، أما الفهد فنظر بعين كالأفعى تودٍ أن تبخ السم القاتلِ بوجهِ هذا الليث، فكلما حاول قتله يعود بقوة أضعافًا ولكن شيئًا مختلفًا قليلاً عما سبق، إنه على علم بأن من أراد قتله طوال الفترة الماضية يجلس أمامه، من خدعة بحب مزيف وعلاقة أخوية خادعة، ولكن دار به الزمن ليغدو أقوى من السابق كان صمتهم الرهيب علامة لضعفهم أمام الليث الجامح، كانت ريفال تتابع ما يحدث باندهاش ممزوج بصدمة قوية، لا تعلم من هؤلاء ولا عن ماذا يتحدث الليث، على عكس جواهر التي تعلم بالكثير عن هؤلاء الشياطين المجردين من الرحمة والإنسانية .

تحدث الفهد قائلاً بنبرة غامضة لا يفقها سوى الليث:

_ جئت لأرى كيف حالك بعد رحلتك إلي الإسكندرية

إنقبض قلب جواهرعند تذكرها ذلك الحادث الأليم، لكنها ابتسمت بسخط عليهم عندما تحدث الليث بصوت كفحيح الموت، قائلاً بنبرة تحمل جزيئات من الغضب:

_ أشكرك على تذكارك الغالي، لقد حافظت عليه لأجل هذا اليوم.

لم يعلم الفهد عن أي شئ يتحدث هذا الليث، لا يعلمٍ أن القوة بالعقل ليس قوة أجسام، أشار الليث بيده للخادم فجلب ظرفًا مطويًا وقدمه للفهد تحت نظرات اندهاش من الجميع، حمل الفهد الظرف بتعجب

وفتحه؛ ليُصدم صدمة ألجمت لسانه عن الحديث كانت كفيلة بإخراسه ليحمل ما بالظرف بصمت رهيب، رأته ريفال يحمل زجاجة صغيرة بها شئ أبيض كالثلج. لم تعلم ما بها فكانت تتطلع باهتمام لتعلم ماذا يحدث بينه وبين هؤلاء الأشخاص .

جواهر باستغراب:

_ما هذا ليث؟!

ابتسم الليث وعيناه تتركز بعين الفهد تأبى تركهم حتى الاستسلام.

فقال بنبرة ساخرة:

_أحضرته من غرفتك الخاصة، حمد لله أنه لم يعثرعليه أحد آخر، عليك الحفاظ عليه جيدًا ربما لم يجده أحد بذلك اليوم، ولكن غدًا لا تعلم مع من سيكون.

كان حديثه يحمل ألغازًا لا يفقه حلها أحد، فقام الفهد ووالده والخوف يسطرعباراته بقاموسه، ليضع الفهد بخطٍ أحمر عميق، توجه للخروج فأوقفه الليث قائلاً:

- تمهل قليلاً، نسيت شيئًا آخر.

نظر له الفهد بتعجب واستغراب

ليصيح عاليًا باسم الخادمة التي تعمل لديهم منذ سنوات فأتت على الفور، لينظر الليث لفهد قائلاً بسخرية:

_ إليك ما ينتمي إليك.

ثم وجه حديثه للخادمة:

_ هيا أرحلي من هنا قبل أن اقتلع رأسك.

هنا علم الفهد مع من يلهو فالليث ليس بشخص يقلل من شأنه أحد، خرج الجميع و تبقى جواهر وريفال التي تنظر بدهشة للجميع لا تفهم شيئًا

جواهر باستغراب:

_ أخبرني ما الذي يحدث؟

وقف الليث واقترب منها واضعا يده على كتفيها بحنان قائلاً:

_أهدأي أمي، فقد انتهى العداء، غدًا سيربح ابنك، سيبرد نار قلبك على ما نزفه من أوجاع

ابتسمت جواهر وقالت:

_أثق بك بني، ولكن أخبرني لماذا طردت الخادمة؟ وما هذا الذي كان بالظرف المطوي؟

ابتسم الليث بمكر قائلاً:

_الخادمة خائنة يا أمي، فقد كانت تعمل لحسابه، لكنني استغللت ذلك لصالحي، أما الزجاجة فكانت تحوي السم الذي حاول قتل ابنك به كان يحتفظ به بخزانته الخاصة.

ابتسمت بفخر قائلة باستغراب:

_من أين حصلت عليها إذن؟!

ابتسم بغموض قائلاً:

_لا يعلم أحد ما يستطيع الليث فعله. هذا الأحمق يظن أن الليث انتهى بعد حادث القطارلا يعلم من أكون؟

رددت الكلمة بصوت مرتفع جعل الليث وجواهر يشعران بوجودها.

عندما رددت ريفال بستغراب:

_قطار

هنا تطاردها ذكريات الماضي، ذكريات حدثت بقطارأوصلها لمحطة الفقدان.

وقف الليث ينظر لها بشفقة ليرى الدموع تنساب كالفيضان، لتقترب منه بخطوات متعثرة، وتردد بصوت يكاد يقف من الصدمة:

_ عن أي قطار تتحدث؟ لماذا أشعر بشيء مريب بداخلك؟من أنت؟هيا أخبرني ماذا تقصد بحادث القطار؟

.....سأخبرك ريفال ....

كان هذا الصوت يأتي من خلفها لتستدير لترى خالد، الرفيق لزوجها الراحل، نظرت له باهتمام ليكمل هو:

_ليث كان بنفس القطار الذي كان به فارس.

رفعت عينيها من عليه، ونظرت لليث باندهاش، لم تعلم شيئًا ليخبرها خالد:

_بأن الليث يعلم ما حدث بذلك اليوم.

ويخبرها شيئًا آخر، أن فارس مازال على قيد الحياة، لتكف عن الحديث وتسقط فاقدة الوعي كالجثة الهامدة، لا تريد تلك الحياة فلم تعد تفهم شيئًا.

هل انتهي المجهول أم تلك البداية؟!

الفصل العاشر

بالإسكندرية:

عاد رائد لقصره وعيناه كالجمرات الحمراء، جعله الغضب يشعربأنه كالبركان يوشك على الانفجار، دلف إلى القصر بصمت رهيب ثم توجه للأعلى، ليجدها تجلس بلا مبالاة، فجلس بجانبها ينظرلها بغموض لتقطع هي الصمت قائلة ببرود:

_ ظننت أنك ستقضي الليل بالخارج.

نظر لها قليلاً ثم قال بصوت يحمل السخرية:

_لقد عدت اشتياقا لك.

ابتسمت بغرور قائلة:

_أعلم ذلك، ثم قالت باستغراب عندما لمحت بيده حقيبة صغيرة:_ما هذا؟

قال بمكر:

_هدية تضاهي مليارات، أحضرتها لأجلك .

لم تسعها الفرحة لتلتقطها منه، وتفتحه بسرعة كبيرة لتكتشف ما به، جحظت عيناها مما رأت؛ صورها مع الشاب الذي تتجول برفقته، يصعدان أحد المباني المشبوهة، وزعت نظراتها برعب بينها وبينه لتجد مسلسل الموت بعينيه، تراجعت للخلف بخوف شديد حتى التصقت بالفراش، أين ستذهب من هذا الأسد المطعون بشرفه؟!!

وقف رائد ثم جذبها بالقوة من معصمها حتى تقف أمامه قائلاً بصوت كالجحيم:

_ لست ضعيفًا لأقتلك بتلك السهولة، أعلم أنك خدعتني بأمر حملك الكاذب؛ لتفرضي سيطرتك الكاملة.

صُدمت من معرفته بأمر حملها؛ فهو اليوم كشف كل شيء خاصًا بها، جعلها بدون أقنعة تخفي خلفها وجهها الحقيقي

مايا ببكاء:

_ ماذا تريد مني؟

رائد بصوت يكسوه الغضب:

_أستطيع قتلك بسهولة، وحينها سأخبر الجميع بأمر خيانتك، ولكني لن أفعل ذلك، خيانة الحب تجعل العاشق يقتل ويرتكب الكثير ولكني لا أكن لك سوى الكراهية، أريدك أن ترحلي من هنا للأبد، وقبل ذلك أحصل على توقيع تنازلك عن شركتي، وإلا سأجعلك عبرة لمن سولت له نفسه خيانة رائد الأنصاري.

ثم دفعها بقوة ثم ألقى لها إسطوانات كثيرة قائلاً باستحقار:

_بعتها لي لأجل المال، خنتِ زوجك لأجل رجل يلتقط لكِ صورًا، ويعرضها لمن يدفع؛ ليشاهد فَيلمًا رخيصًا مثلك.

ثم أكمل بصوت كالرعد:

_ من الأفضل لك حين عودتي أن لا أرك هنا.

وألقى الأوراق أمامها ثم غادر، تركها تبكي ندمًا وهي تتفحص ما ألقاه إليها من أسطوانات رخيصة، تحمل كل ذنب اقترفته بحق زوجها، وقعت

على الأوراق، وحملت حالها، وغادرت قبل أن ينفضح أمرها أمام الجميع،

بالمخازن الخاصة بسليمان الانصاري:

كان يقف بتوتر بانتظار رجاله، إلى أن دلف الشاب الذي أخبره بالهاتف أن لديه معلومات خطيرة، وقف أمامه بخوف شديد ليصرخ به سليمان على التحدث، فأخبره بأن الليث كان على متن نفس القطار الذي قتل به فارس،

لم يفهم سليمان شيئًا، هل هناك علاقة بين الليث وفارس!!!

أكمل الرجل حديثه بأن خالد هو الرفيق الأقرب لفارس، فسليمان طلب منه النبش حوله؛ لأنه أحس برؤيته من قبل،أخذ سليمان يجمع الخيوط ببعضها ولكنه لم يتوصل للكثير؛ فالأمر غامض للغاية، تردد بذهنه العديد من الأسئلة هل عمل خالد بشركة الليث مجرد صدفة، أما إن هناك أمرًا غامضًا؟ وجود الليث بالقطارمريب؛ بث الشكوك بداخله بأن الليث على علاقة بفارس، جلب الشاب طرف الخيط لسليمان، ولكن لم يحصل على إجابة لسؤاله: هل فارس ما زال على قيد الحياة؟!

بقصر الليث:

بدأت تستعيد وعيها تدريجيًا لتجده بجانبها يحمل كوبًا من المياه، تراجعت للخلف بذعروعيناها مملوءة بالدموع.

ليث بإشارة من يده حتى تهدأ:

_إهدأي ريفال، أنت بخير.

ريفال بصوت متقطع من البكاء:

_أين فارس أين هو؟

أجابها الليث بهدوء:

_ اهدأي قليلاً وسأخبرك بكل شئ.

دفعت الكوب بعيدًا عنها بغضب، ثم صرخت بصوت مرتفع للغاية:

_لا أريد شئ أخبرني أين زوجي؟

ابتسم بسخرية قائلاً:

_أنا زوجك.

صرخت عاليًا وقالت بصوت يملأه الغضب:

_ زواجي منك باطل، كيف سولت لك نفسك بالزواج من امرأة متزوجة؟!

ابتسم الليث ونظر أمامه ثم نظر لها بمكر قائلاً:

_أحيانًا رشوة تكفي .

نظرت له بعدم تصديق، ولكن ليس عليها سوى معرفة أين زوجها. فقالت بدموع لعله يرأف بحالها:

_أخبرني أرجوك، أين زوجي؟

حطمت دموعها قلبه ولكن عليه الصمود أمامها

ناولها كوبًا من العصير قائلاً بنبرة تحذيرية:

_ تناولي هذا، وأعدك أني سأخبرك كل شيء بالوقت المناسب.

لمحت بعينيه الصدق، فتناولت منه الكوب وبدأت بارتشاف القليل حتى بدأت الرؤيا تتلاشى تمامًا، فلم تعد تقوى على حمل الكوب، أخذه منها لتسقط هي الأخرى بين يديه، فوضعها على الفراش برفق ثم دثرها

جيدًا، ظل بجانبها قليلاً يتأملها بغموض هامسًا بجانب أذنها:

_ لن أتركك وإن كلف الأمر حياة الليث نفسه.

ثم تركها وغادر من الغرفة بأكملها، فوجد والدته تنتظره أمام الغرفة، نظر لها نظرة فهمتها جيدًا فبعثت الاطمئنان له بنظراتها فهبط للأسفل ليرى سليمان الأنصاري؛ فهو يعلم بأنه بالأسفل؛ لذلك طلب من والدته أن تضع لريفال شيئًا يجعلها تفقد وعيها، وجد سليمان بانتظاره وملامح وجهه تظهرنجاح خطته، فابتسم بثقة وتقدم منه بخطوات ثابتة قائلاً::

_أهلا بك سيد سليمان وقف سليمان ينظر له ثم قال مباشرة:

_ما علاقتك بفارس ليث؟

جلس الليث بغموض قائلاً:

_بالطبع أعرفه.

صُدم سليمان ليكمل ليث بخبث:

_ أخبرتني عنه من قبل، ما بك يا رجل، أتنسى شيئًا أخبرتني به من قبل!!

سليمان بصوت مرتفع بعض الشئ:

_أنت تعرفه جيدًا؛ كنت على نفس القطار الذي كان به.

وقف الليث بحزم قائلاً:

_لا تحدثني هكذا، وإلا لن يعجبك تصرفي. هل لي بمعرفة جميع من بالقطار؟!

هدأ سليمان قليلاً وقال:

_إذا لم تعرف فارس إذًا ماذا يفعل رفيقه بعملك؟

الليث:

_من قال لك أني لا أعرفه، أخبرتك منذ قليل أني أعرفه، وأعرف أيضًا ماذا فعلت به، سمعت من خالد مثلما سمعت منك؛ لذا أخبرتك بأني أعرفه جيدًا، ولكنك لا تفقه بفهم الليث؟ أصبحت على صداقة بخالد حتى أعرف ما أريد فهناك أمرًا خفي بين الشبح وخالد.

سليمان بهدوء:

_ماذا أخبرك خالد؟

ليث بغموض:

_فارس مازال على قيد الحياة.

جلس سليمان بذعر على المقعد وتطلع لليث بعين تهلع خوفًا من المجهول.

ليبتسم بسخرية قائلاً:

والآن أصبحت على علم بالشبح.

شعر بتوقف نبضات قلبه؛ فالشبح يحمل حياة سليمان الأنصاري بيده مستندات، وأوراق تهدم مملكته التي بناها منذ سنوات، كان يستمتع بخوفه ورؤيته هكذا، ولكن ما زالت الحرب قائمة...

ليقول بغضب:

_ زواجي من ريفال ليس قانونيًا, هي ما زالت زوجته.

سليمان بذعر:

_هي لك سأقتله أعدك بذلك تلك المرة ستكون نهايته بيدي أنا.

وتركه وغادر لم ير، أمامه من الصدمة، أما الليث فوضع قدمًا فوق

الأخرى بكبرياء ونظراته الغامضة تتبع سليمان

،رفع عيناه ليجد والدته تنظر له بفخرعلى ذكائه الذي يفوق أشد الأقوياء.

لا يعلم أحدًا ما الذي تشعر به، نعم هي لا تتحرك ولا تتحدث ولكن لديها قلبًا يبكي ويتألم، تذكرت باليوم الذي سعدت كثيرًا لتخرجها، تذكرت ابتسامته، مرت الذكريات أمام عينيها كأنه شريط يقص عليها ما فعلته، تساقطت دموع ليان بألم عند تذكرها وفاة والدتها، حتى البكاء على ذكراها لم تقوعلى ذلك تشعر بالوحدة التي تقتلها، تشعر بأنها كالأسوار الحديدية التي تقيدها بإحكام لا تقوى على فكها بمفردها بحاجة للمساعدة، تعلم أن الله مع الصابرين وهي بانتظار جزائها.

عاد سليمان إلى قصره وقلبه يرتعد مما سمع، لا يعلم أن لكل ظالم نهاية مهما طال طريقه، نهاية يحددها الله قبل عباده

،جلس يلهث من الرعب ليصدح صدى رنين هاتفه فانتفض من مكانه، أصبح صوت الهاتف بمثابة إعلان الجحيم له

رفع الهاتف على أذنيه يستمع لصوت ضحكات الشبح ثم صمت قائلاً:

...منحتك وقت يكفي للحياة والآن أستعد لموتك ...

سليمان بغضب:

_من تظن نفسك أيها المعتوه، جننت لتتحدى أسيادك، لم أعلم ما الذي حدث لجعلك على قيد الحياة، ولكني أعدك أني سأحرص على موتك بيدي.

ضحك عليه قائلاً بنبرة تحمل السخرية:

_إذا كنت بجانبك الآن، وأتحدث من قصرك، ولم تستطيع الإمساك بي، كيف ستحقق وعدك سيد سليمان.

وأغلق الهاتف ليجن جنونه، ويرفع هاتفه ليصدم ؛ فذلك الرقم رقم الغرفة الخاصة به، هرول إلى المصعد ودلف لغرفته بسرعة كبيرة كالرعد ليجد باب شرفته مفتوحًاعلى مصراعيه وأوراق تحاوط الفراش، ألتقطتها وأخذ يتفحصها بعينيه فتخشب مكانه؛ فتلك الأوراق تعني نهاية سليمان الأنصاري، احمرت عيناه بشعلة الغضب ليصرخ برجاله الذين هرولوا للأعلى مسرعين، نظر لهم نظرة فسقط قلبهم رعبًا كأن الموت يحاصرهم، أمرهم بالبحث عنه وإحضاره له حيا يرزق

وإلا سيكون مصيرهم الهلاك، وبالفعل غادر الرجال للبحث عن مجهول لم يستطع أحد العثور على شيئ ليس له وجود!!!

كانت شاردة بنظراته التي تأبي ترك خاطرها

هي تعلم بأن الفرق بينهم شاسع وهو متزوج من فتاة غير محتشمة كيف لها أن تفكر به لذا عزمت أمرها على ترك تلك الشركة:

خافت من أن يستحوذ عليها شيطانها؛ فتنجرف لمشاعرها وتغضب الله عز وجل، تجعلها نظراته ترتجف ليس كرهًا ولكن خوفًا من الله عز وجل، ظلت تفكر حتى استمعت لصوت الفجر يؤذن فقامت واغتسلت ثم أدت صلاتها لله، سجدت وبكت له أن يريح صدرها ويحفظها من الشيطان، دعت لرفيقتها بأن يسعدها ويمنحها سعادة مع زوجها عوضًا لها عما رأته، دعت لليان بأن يشفيها، دعت للجميع ولما تنسى أحد، ثم أنهت صلاتها وجلست على سجادة الصلاة تتحدث مع الله بصمت،

يكفي أنه مطلع على قلب يحمل أوجاعًا ويهتف بالألم، نعم, هي تدعو بما تريد بصلاتها ولكن الآن تجلس بصمت تستمع لقلبها، ماذا يخبرها الصراع الأخير بين العقل القاتل؟

بقصر الليث:

ابتسم بسخرية عندما علم بأمر سليمان، كيف يمسك بشخص ليس لديه وجود، لا يعلم أحد السر الخفي ولا المجهول.

خلع ذلك القناع الذي يرتديه لتظهر ملامحه الحقيقية.

ليث بعين غامضة:

_حان الوقت سليمان.

ثم أبدل ثيابه ووضعها بالخزانة، وتوجه إلى الأعلى لرؤيتها، وقف يتأملها وهي كالملاك تنام بعمق على فراش جعلته من لمساتها ذهبًا، تطلع لها كثيرًا حتى أدمعت عيناه لرؤيتها تعاني، شعربرؤيتها لهذا الكابوس المزعج، شعربها وهي تحاول الصراخ ولكنها مجبرة على النوم بفعل المنوم، رأى دموعها المنسدلة كخنجرمسنون يذبح قلبه، اقترب منها وجفف دموعها بيده واليد الأخرى يزيح دموعه من وجهه بقسوة؛ فالبكاء لا يليق به بل يزيده قسوة وجفاء، يجعله يشعر بعزيمته للثأرمن هذا الوغد الذي فعل هذا؛ فرَّق قلبين بدون رحمة ولا إنسانية، لم يعبأ لدموعها ولا لقلبه الذي يدهسه أمامه، توعد لها بالكثير؛ فالليث لم يرحم أعداءه قط.

الفصل الحادي عشر

سطعت الشمس بأشعتها الذهبية، لتملأ الكرة الأرضية بنورها، كأنها تعلن انتهاء الظلام الدامس وحلول النهار بإطلالتها الذهبية الخلابة، تسللت بخفة لفراشها لتزعجها حتى تستيقظ وبالفعل استجابت لها ريفال، وبدأت بفتح عينيها ببطء شديد، لتراه يجلس بالقرب منها يحتضن بيده المصحف الشريف وباليد الأخرى يحتضن يدها، فأسرعت بسحب يدها على الفور بعيدًا عنه؛ فهو ليس بزوجها، نعم، هي تتذكر هذا الصوت الجميل الذي رتل لها القرآن بالأمس عندما راودها كابوس مؤلم، وكان صوته كطوق النجاة لها . تذكرت ما حدث بالأمس، وأن فارس مازال على قيد الحياة فابتسمت بسعادة تختلط بدمع مجهول هويته، هل هو دمع مشبع بالفرحة أم بالآلام؟! تحركت ببطء شديد من جانبه ثم فتحت باب الغرفة وركضت إلى الأسفل، ركضت من الأمان إلى الجحيم، ظلت تركض وتتعثر قدمها ثم تقف مرة أخرى حتى اقتربت من الباب الخلفي للقصر، كادت أن تحظى بالحرية التي تعتقد أنها ستنالها فوجدت يدًا تجذبها بالقوة عن الباب،

رفعت عينيها لتلتقي بعينيه الغامضة.

ليث بغضب:

ـ إلى أين؟!

دفعته بعيدًا عنها بصراخ قوي:

_ابتعد عني، أخبرتك من قبل أن قلبي ملكًا له، ومازالت تحاول التقرب،

ماذا تريد؟ دعني وشأني.

اقترب منها بحذر قائلاً بهدوء:

_عليك الاستماع إليَّ ريفال.

ريفال بصوت مرتفع للغاية:

_ لن أستمع لأحد سوى قلبي.

بكت بصوت مسموع مزق قلبه قائلة:

_ فرقنا القدر مرة، ولن أسمح بأن يعيد ما فعله مرة أخرى.

سأبحث عنه بكل مكان حتى ألتقي به، وأخبره كم عانيت بغيابه.

بكت بصوت يصرخ الآهات والأوجاع قائلة:

_ سأخبره أن قلبي منكسر ولم يحتمل العيش بدونه، سأخبره بأنه أماني ودنياي، سأخبره بصرخات وجعي، سأخبره بالكثير.

لمع الدمع بعينيه وتحطم قلبه لسماعها. فرأت تلك الدمعة اللامعة بعينيه حثتها على التقدم منه قائلة بتوسل:

_ أرجوك أخبرني أين هو؟

قال بصوت متقطع من الخنجر الموضوع بقلبه:

_ أعدك ريفال أني سأخبرك بكل ما تريدين معرفته، ولكن تحلي بالصبر للغد؟

نظرت له بشك لبيتسم بمكر قائلاً:

ألم تصدقين!!

لا عليك لدي ما سيجعلك تصدقين، نظرت له بلهفة بانتظارما سيفعل، ليخرج ظرفًا أبيض مطويًا أعطاه لها وزعت نظراتها بينها وبين ذراعيه الممدوة بالظرف، فالتقطه منه بأمل كبير زاد بدموع عينيها عند رؤية اسمها يسيطرعلى الظرف، فتحتها بلهفة تحت نظراته الحزينة، لتجد الطوق الذي يخصها، نعم تتذكره جيدًا عندما أحضره لها فارس وأخذه منها مجددًا، لفت انتباهها ورقة صغيرة مطوية بالظرف ففتحتها بلهفة لتجدها منه، فذلك الخط تعرفه جيدًا بكت بفرحة وهي تقرأ كلماته، حتى أن قدميها لم تعد تحملها على الوقوف، فجلست على الأرض الخضراء تقرأ ما دوَّنه لها تحت نظرات الليث اللامعة بالدمع على حالها، وجدت كلماته التي لا طالما كان يكتبها لها:

كم تمزق قلبي لفراقك

ولم أحتمل الدمع بعينيك

كنت أقتل ببطء لرؤياك

أراكِ من بعد حتى أنساك

ولكن قلبي ضعيف بذكراك

يا من ملكتي قلبي بدنياك

ها قد عاد محبوبك مجددًا

قطعت وعود وها أنا أوفي بوعدي بأنك ملك لفارس تمناك

فاسمك محفور بقلب عاشق

هوى حبك ولو طال الزمان

كوني بانتظاري وأعدك بالعودة قريبًا

بكت وهي تستمع لكلماته كأنه يجلس أمامها، نعم، تلك الورقة تحمل الكثير من الألغازالتي فشلت بفهمها ولكنها كفيلة ببث الأمان لقلبها أنه ما زال حي يرزق، ظلت تطلع للورقة بدموع وابتسامة، لا تعلم أهذا حلم أم خيال؟!!! صوت الليث من جعلها تعود لأرض الواقع لتتيقن بالصدق.

ليث بهدوء:

_هيا نعود للقصر.

وقفت ريفال ونظرت له برجاء قائلة:

_ هل ستفي بوعدك؟

ابتسم الليث قائلاً بثقة:

_لم يخلف الليث وعده قط.

اطمأنت قليلاً، وتوجهت معه للداخل لتجد جواهر تنتظرها بقلق بدا على وجهها، وما أن رأتها حتى عادت البسمة لوجهها مجددًا، وكذلك جوان الذي أسرع إليها بلهفة قائلاً:

_هل أنت بخير أمي؟ بالأمس أتيت لرؤياك ولم تكوني على ما يرام.

أزاحت دموعها ثم انحت لمستواه قائلة بابتسامة:

_لا تقلق بني صرت الآن أفضل من سابق.

ابتسم جوان وقال بخبث:

_هل تستطيعي الركض؟

ريفال باستغراب:

_ نعم لماذا؟!

ركض جوان بسعادة ومعه الظرف الأبيض الذي كان بيدها قائلاً:

_اتبعيني إذًا.

وقفت ريفال وهرولت خلفه مسرعة تحت ضحكات جواهر وابتسامة بسيطة ارتسمت على وجه الليث، ظل يتابعها بعينيه حتى اختفت تمام من أمامه.

* * *

بالإسكندرية:

توجهت شذا إلى الشركة بخطوات مرتبكة، لا تعلم بماذا ستجيبه عندما يسألها عن سبب استقالتها، ولكن عليها أن تفعل ذلك، أخبرت السكرتيرة أنها تريد مقابلته فوافق على الفور، دلفت بخطوات بطيئة إليه ثم جلست بتوتر من نظراته المتفحصة، لها فقررت قطع الصمت وقدمت له الأوراق فالتقطها بذهول قائلاً بدهشة:

_ استقالتك لماذا؟!

شذا بصوت منخفض:

_لا أريد العمل هنا.

رائد باستغراب:

_ هل من الممكن أن أعلم ما الذي حدث؟

نظرت له بخجل ليبتسم لتفهمه ما تحاول قوله بعينيها، رائد بابتسامة زادته وسامة على وسامته:

_كل يوم تزيدين بنظري احترامًا شذا.

وقبل أن تتحدث وقف أمامها قائلاً بحب مشبع بكلماته:

_ لا أعلم ما الذي يحدث لي برؤياك، أشعر كأن قلبي يتراقص طربًا، حتى عيناي تأبى ترك عيناك، فإذا كان هذا الحب فهو كذلك.

تلون وجهها بحمرة الخجل والغضب في آن واحد، حتى أنها كادت أن تتحدث ليقطع حديثها بكلماته .

رائد بجدية:

_ أريدك زوجة لي شذا.

نظرت له بصدمة ألجمتها على الحديث فنظرت له كثيرًا، ثم قالت بارتباك:

_ ولكنك متزوج.

ضحك بسخرية قائلاً:

_كنت .

نظرت له بعدم فهم ليكمل هو:

_ انتهت علاقتنا والآن عليَّ الزواج من اختارها قلبي.

وضعت عينيها أرضًا بخجل ثم رفعتها بدمع يلمع بعينيها قائلة:

_أنت لا تعرف عني الكثير.

قاطعها رائد:

_لا أريد معرفة شيء شذا، يكفي خلقك وتدينك.

شذا بتصميم:

_لا بعض الأمور لا يجب إخفائها.

ابتلعت غُصة مريرة بحلقها قائلة بألم:

_ تركني أبي وشقيقتي بقطار راحل إلي الإسكندرية؛ لينعم بحياته الزوجية، لم يكلف نفسه عناء البحث عني أو حتى السؤال، بقيت بالشارع لساعات، لا أعلم إلى أين سأذهب بشقيقتي؟ إلي أن وجدني العم أنس، وأخذني لمنزله؛ لأنعم بحياة فقدت مذاقها مع أبي، وجدت الحنان والحب بابنته لين، وجدت بمنزله الكثير كأن الله بعثه لي تعويضًاعما رأيته مع أبي.

ضحك بسخرية على حاله قائلاً بصوت يحمل الأوجاع:

_هل تعتقدين أن حياتي كاملة، حياتي مشابهة لك شذا ولكن الفرق أن أباك يتحكم به امرأة، أما أبي يتحكم به جدي كالدُمية، يفرض سيطرته على الجميع حتى أنا لم أسلم منه؛ زوجني لأجل السلطة والمال وعندما رفضت ذلك جعل أبي يتنازل لها عن حصته بالشركة التي سهرت الليالي لأجل إنشائها. أجبرني على الزواج منها وتحملت الكثير والكثير ولكني الآن أصبحت حرًا.

استمعت له بتعجب فالجميع لديه الكثير من الأوجـاع، ثم حملت حقيبتها تحت نظرات تعجب منه وتقدمت للخروج، ولكنها عادت مجددًا له قائلة بابتسامة بسيطة:

_أمر زفافي بيد العم أنس.

ثم تركته يستوعب ما قالته وغادرت, تركته يبتسم على حديثها ويستمع لجملتها بقلبه قبل عقله؛ ليقوم مسرعًا ليخبر أنس عن الأمر.

* * *

أخيرًا عرف الفرح طريقًا لقلب مهجور، كانت ريفال سعيدة للغاية بالطوق والكلمات، شعرت بأن هناك أملاً باللقاء الذي طال بالبعاد،

فقامت للصلاة تشكر بها الله؛ فحبيبها ما زال على قيد الحياة، نعم ما زال حيًا وستقرعينيها به قريبًا، أنهت صلاتها بخشوع وجلست تفكر به، لماذا لم يحدثها طوال الفترة الماضية؟

هاجمتها الكثيرمن الأسئلة ولكنها لم ترد إشغال عقلها، فقلبها اعتاد الحزن والألم، تعيش الفرح قليلاً حتى لو كان بالكذب، حملت هاتفها بسعادة لتخبر رفيقتها لتجدها تسبقها بالرنين، رفعت الهاتف بسعادة لتخبرها بما حدث، وكيف أن الليث وعدها برؤية محبوبها، لم تستوعب شذا ماذا تقول ريفال، هل يعود الميت للحياة؟! لم ترد بإدخال الحزن على قلبها فهي أخيرًا تراها سعيدة، وانغمست معها بالحديث وأخبرتها هي الأخرى بأمر رائد؛ لتزيد فرحتها الضعف فكم تمنت رجلاً لشذا مثل رائد! وها هو حلمها يتحقق الآن. ظلت تتحدث معها كثيرًا حتى مر اليوم بالحديث بين الفتيات ويبدأ الانتقام بشرارته من جهة أخرى.

* ★ *

بالمكتب الخاص بالليث:

خالد بسعادة:

_ حانت وقت هزيمتك سليمان.

ابتسم الليث بسخرية قائلاً:

_لقد أوشك على الانتهاء خالد، وسأحرص على ذلك بنفسي، أعدك بذلك .

كانت نظراته غامضة؛ فهو مجهول للجميع، حسم أموره على القضاء على سليمان بإظهار الفارس .

* ★ *

بمصنع الماكينات:

فوجئ أنس برائد يقف أمامه يخبره بأنه يريد الزواج بشذا، كاد أن يتحدث ليخبره رائد أنه أن لم يحصل على موافقته، اليوم سيأتي أمام منزله ويطلبها منه أمام الناس جميعًا، ضحك أنس وأخبره أنه موافق بالطبع، فهو يعلم بكل شئ بعدما أخبرته شذا على الهاتف، ولكنه صُدم برؤيته بمكان العمل اعتقد أنه سيبعث له .

بقصر الليث:

توجه الليث لغرفة ابنه لرؤيته، دلف إلى الداخل ليجده ينام بعمق، وكالعادة يُسقط الغطاء أرضًا، ابتسم الليث وتقدم منه ببطء ثم دثره جيدًا، وجلس بجانبه قليلاً ليفزع عندما يستمع لصراخ ريفال، ركض مسرعًا لغرفتها ليجدها ترى كابوسًا مزعجًا، ترتجف بشدة، دموعها منهمرة على وجهها كالفيضان، تصرخ بصوت مرتفع باسمه، تصرخ لرؤيتها الزمان يُعاد من جديد، تراه يقتل أمامها مجددًا شعرت بأوجاع قلبها تعود من جديد.

ريفال بصوت يحمل أوجاعًا لفراق محبوبها:

_فارررس فارس.

سُلب قلبه وهو يراها هكذا، حاول إفاقتها ولكنها رافضة للواقع مغمضة العينين بقوة, فلطمها بخفة على وجهها مرددًا بقلق اسمها.

ليث بحزن شديد:

_ ريفال أفيقي، هذا مجرد كابوس, ريفال.

بكت كثيرًا وارتجفت لتجد يدًا قوية تخرجها مما هي فيه، فتحت عينيها

ببطء لتجده أمامها يحاول إفاقتها، لتردد اسمه بالفارس وتبكي بأحضانه لعل الأمان يعاودها، بكت وقالت بصوت متقطع من الصدمة التي كانت بها منذ قليل:

_لا تتركني مجددًا فارس، لن أحتمل البعد عنك .

كان كالمتحجر لا يعلم ما الذي عليه فعله، أيتركها أم يخبرها بالحقيقة، عادت لأرض الواقع لتجد أنها بأحضان آخر، صُدمت ريفال ودفعته بعيدًا عنها ببكاء، ما الذي فعلته؟! كيف فعلت ذلك؟!

وضعت يدها على فمها من هول الصدمة، لا تريد تصديق الأمر، ثم وضعت يدها على شعرها المكشوف أمامه؛ لتزداد بالبكاء، وهو واقف كالتمثال ينظر لها بغموض، لا يعلم هل يكشف المجهول لها أم يتركها على أمل اللقاء. جذبت الحجاب الموضوع على الأريكة ثم وضعته على رأسها، وتوجهت للخروج من الغرفة لتجده يقف أمامها كالسد المنيع.

ريفال ببكاء ممزوج بالغضب:

_ دعني وشأني.

الليث:

_عودي لفراشك ريفال, لن أدعك تذهبين مهما كلف الأمر.

ريفال بغضب:

_لن أبقى هنا, فهمت؟

وتركته وتوجهت للباب الآخر الخاص بغرفة جوان، فجذبها من معصمها بالقوة لتقابل عينيه، فتشعربأنها بالماضي مرة أخري؛ ترى أمامها فارس عينيه المميزة، لم تستطع تصديق ذلك فدفعته بعيدًا عنها، وجلست أرضًا تبكي بصوت مرتفع قائلة بصوت مبحوح:

_من أنت؟ لماذا أشعر بأني أعرفك من قبل؟ لماذا عاد قلبي للنبض مجددًا؟

زادت بالبكاء المرير الذي مزق قلبه لرؤياها محطمة هكذا، اقترب منها وانحنى لمستواها يحاول أن يهدئها، ولكنها تزيد بالبكاءِ حتى صوتها أصبح منعدمًا، فاض به قلبه لينهي هذا العذاب قائلاً بنبرة تحمل السخرية:

_ أريد البكاء كثيرًا؛ فزهرتي لم تستطع التعرف على فارسها.

توقفت عن البكاء، ونظرت له بصدمة مما تفوه به من يناديها بالزهرة فارس.

ابتسم بحب واشتياق يلمع بعينيه قائلاً:

_ ترك لك قلمي بصمة يمكن تميزها بسهولة ولكن ماذا عن عيناي؟!

كانت هادئة تستمع بصمت تحاول أن تستوعب ما يقوله، تنظر له بصدمة، حتى أنها لم تنتبه له وهو يقترب منها بحنان ليضمها بين أحضانه قائلاً بنبرة مُزجت بالدموع:

_أنا فارس ريفال. أنا هو!

كانت كالمغيبة بأحضانه، ولكنها أفاقت ماذا لو كان هذا مخادع، هل ستغضب ربها وزوجها؟كيف لليث أن يكون فارس؟

لم تصدق هذا، ودفعته بعيدًا عنها بخوف شديد قائلة بنبرة مرتجفة:

_أنت مخادع ابتعد عني.

وتركته وركضت إلى الشرفة، ليتابعها بحذر قائلاً بصوت محمل بالأوجاع لعدم معرفة معشوقته عليه:

_بل أنا هو ريفال ألم تتعرفي عليَّ!!

ريفال بصراخ وهي تتراجع للخلف:

_كاذب .

اقترب منها خطوة أخرى قائلاً:

_لا طالما كنت تخبريني بأن عيناي مميزة، لم تشاهدي مثلها، لما الآن تفشلين بذلك؟

ابتعدت وصرخت بصوت مرتفع، أتت عليه جواهر لتجد ريفال تتراجع للخلف بذعر، والليث يتقدم منها في محاولة للحديث معها.

جواهر بقلق على حال ريفال:

_ما الذي يحدث هنا؟

نظرلها الليث بحزن على فشله في محاولة إقناعها ثم غادر من الغرفة بأكملها، فاقتربت منها جواهرلترتمي ريفال بأحضانها تبكي بشدة، ثم فقدت الوعي على أثر البكاء، أما الليث فعزم على كشف الحقائق أمام الجميع، غدًا ليعلمهم بحقيقة الليث وفارس.>

الفصل الثاني عشر

مر الليل بظلامه الكحيل كحال قلبه المجروح بلهيب الحقد والانتقام, يحول الماضي من حوله كالوحش الذي يراقب فريسته باحتراف، ثم ينقض عليها ليلتهمها بدون رحمة ولا إنسانية، صوت أخرجه من الظلمات التي يخطوها بأشواك وغيوم، صوت أذان الفجر الذي يريح قلبه بأن الله سينتقم منهم جميعًا وينصره، هبط ليث للأسفل ثم توجه للمسجد يصلي الفجر به ثم جلس يقرأ آيات القرآن لتريح قلبه المرتشف من كأس الظلم والطغيان، قرأ بصوت يملأه الخشوع:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [النساء: 168].

صدق الله العظيم

سطعت شمس جديدة بنورها الذي يعلن نهاية الظلام، يثبت للجميع أنه مهما طال فنهايته النور الساطع، خرج الليث من المسجد وهو يشعر بطاقة لمحاربة الجميع، توجه للقصر ليجد جواهر تجلس بخوف شديد، اقترب منها بذعر لترتمي بأحضانه ببكاء و تصرخ ألمًا، انحنى لها ليعرف ما بها فزادت بالبكاء.

ليث بقلق:

ما بكِ أمي؟!

جواهر بصوت متقطع من البكاء:

_أين كنت بحثت عنك كثيرًا ولم أجدك، ظننت أني فقدتك مثلما فقدت فلذة كبدي.

أحتضانها بحنان قائلاً:

_لن أتركك مهما كلف الأمر،عليَّ الانتقام، وأعدك بأني سأعود.

صرخت وتشبثت به بخوف قائلة بصوت متقطع:

_لا، لن أسمح لك بذلك.

كانت تراقبه من أعلى بصمت لا تعلم ما الذي يحدث!

وقفت لتره يحتضن أمه بحنان، فتأكدت أنه مخادع، هذا هو الليث لا أحد يعامل سيدة مثلما يعاملها هو، قاطع حديثهم دخول حشد كبير من الرجال ومعهم أسلحة مخيفة، ارتعبت ريفال وركضت إلى غرفة جوان وأيقظته بهدوء ثم ركضت حتى تخرجه من القصر، ارتعبت جواهر وتشبثت بالليث كأنه الهواء لها، كان الليث يتابعهم بعينين كالصقر؛ فهو يعلم أن خطته تسير بالمسار الصحيح، ولكنه لم يرد اللقاء بهم هنا لأجل والدته وريفال والجميع، ولكنه أمر واقع وعليه التصدي له .

دلف سليمان الأنصاري ومعه خالد المفاجأة لليث، ألقاه سليمان أرضًا ليصرخ من الألآم التي ألحقها رجاله به، ثم اقترب منه بعين تشع شرار الجحيم ليقف الليث بوجهه ينظر له بتحدٍ هو الأخر.

سليمان بغضب:

_أين فارس ليث؟

نظر له بابتسامة جعلت النيران تلتهمه، ليصرخ بالرجال بإحضار ريفال

وابنه، صرخت جواهرخوفًا على حفيدها؛ فهي لم تعد تمتلك سواه، كذلك الليث اُقْتُلِع قلبه ولكن حتمًا سيواجه هذا الشيطان، بعد قليل هبط الرجال ومعهم ريفال بمفردها

سليمان بغضب:

_أين الصغير؟

أحد الرجال:

_لم نجده سيدي، بحثنا بالقصر بأكمله ليس له أثر.

بكت جواهر خوفًا على حفيدها، فبثت لها ريفال الأمان بعينيها بنظرات جعلتها تلتقط أنفاسها، جُن جنون سليمان وتأكد بأن ريفال فعلت شيئًا فاقترب منها وجذبها بالقوة من حجابها لتصرخ ألمًا .

سليمان بعضب جامح:

_ أين الصغير؟ أخبريني وإلا أقتلعت عنقك أين هو؟

ريفال بألم:

_لن أخبرك بشيء، تريد الانتقام من طفل صغير، أشعر كأنك ليس من الإنسانية بل شيطان جُرِّد قلبه من الرحمة.

هوى على وجهها بصفعة سقطت على إثرها تحت أقدام الليث الذي أسرع إليها وساعدها على الوقوف، رفعت وجهها له ليرى الدماء المنسابة من فمها فجُن جنونه، وتقدم من سليمان قائلاً بصوت كفحيح الموت:

_أعدك برد الصاع صاعين سليمان، فأنت لم تعلم ماذا بإمكاني فعله!

ضحك سليمان بسخرية واقترب منه قائلاً بصوت منخفض كإنذارت الأموات:

_ هيا أرني ما بإمكانك فعله، سأقتل والدتك والجميع إن لم تخبرني بمكان هذا الأحمق.

ثم رفع سلاحه بوجه الليث قائلاً بعصبية:

_هيا تحدث وإلا قتلتك الآن.

أتاه صوت من خلفه قائلاً:

_ أنا من سأفعل هذا.

استدار سليمان والجميع ليجد الفهد يحمل سلاحًا ويصوبه على الليث بكراهية شديد. سليمان بستغراب:

_من أنت؟!

فهد بنبرة سخرية:

_أنا الفهد الأحق بتلك الثروة، كنت أعلم أن هناك شيئًا خاطئًا، لقد حرصت على قتل الليث بنفسي لأصبح الأحق بالثروة، ولكن بوجودك لن أنالها ما دمتَ على قيد الحياة.

تعجب الجميع حتي خالد؛ فهو يساعد الليث بعدما أعلمه أن فارس على قيد الحياة, وأنه يساعده حتى ينال انتقامه.

سليمان باستغراب:

_ما هذا الهراء!!عن أي ليث تتحدث!!

ابتسم الفهد قائلاً:

_كنت مثلك أحمقًا وظننت أنه الليث، ولكن كيف للأموات الحياة مرة أخرى.

سليمان بدهشة:

_ماذا تقصد؟

اقترب الفهد من الليث ووقف أمامه قائلاً بتحدٍ:

_من أنت؟

تأكدت بنفسي أن الليث قُتل، أخبرني من أنت؟

هنا بدأت الخيوط تتضح للجميع، ضحك الليث بصوت مرتفع صوت جعل الجميع يرتعد وينظرون له بتعجب، حتى ريفال وخالد بحاجة لمعرفة الحقيقة, اقترب الليث من الفهد بعينين كالجحيم قائلاً بصوت كفحيح الموت:

_أنا الموت، واللعنة لكم، أنا نهاية لظلم أم فقدت ابنها لأجل حقد رجل مثلك، أراد الثروة ولما يعبأ لدموع أم لم تمتلك سواه، أردتَ الثروة والمال ولكنك فقدت دنياك.

قاطعه سليمان بغضب شديد:

_من أنت بحق الجحيم.

نظرله بعين جعلته يرتبك، ثم قال بصوت زلازل جدران القصر:

_أنا العاصفة التي ستفتك بك، أنا الشبح الذي حوَّل حياتك لجحيم، أنا الذي عُدت لأجل الانتقام.

ثم قال وعيناه تتركزعلى محبوبته:

_أنا الفارس الذي ارتكب ذنبًا، عندما أحب بصدق من قلبه وكان جزاؤه الفراق عنها.

ثم تحولت عيناه لنيران يقذفها عليه نظرله ببركان من الغضب قائلاً:

_ظننت أنك قوي وهناك الأقوي منك، لم يرد الله لقلب أراد حبًا طاهرًا بالموت على يد ظالم كأمثالك؛ لينصر الحق ويمنحني حياة أخرى للعيش مجددًا، بوجه آخرولكن بقلب أشد قسوة على أعدائي، كنت إلى جوارك ولم تشعر بي أستمتع برؤية الخوف بعينيك. قتلت أبي عندما علم بموتي لم يتحمل وفارق الحياة ليمنحني الله أمًا لم أر لها مثيلاً، منحني الأبوة بأن أكون أبًا لطفل حُرم من أبيه، عادت محبوبتي إليَّ وأنت من سلمتها لي بيدك عاد لي الكثير والكثير، ها أنا أخبرك بكل قوة أنك تقف أمامي، أمام الفارس الضعيف كم أخبرته من قبل، أنا من هدمك سليمان .

كانت ريفال تتابع ببكاء، ولكن لم تفهم شيئًا. كيف لليث أن يكون الفارس؟

صُدم سليمان هو الآخر؛ كيف له أن يكون فارس؟

قال ومازال الحقد يعمي قلبه:

_ سأنتزع الحياة منك مجددًا .

ورفع سلاحه إليه بكل شرليصدح صوت الرصاص بالمكان؛ فتصرخ جواهربجنون حتى ريفال أغلقت عينيها بقوة رافضة لأي صدمات أخرى، فتحت عينيها ببطء شديد لتجد قوات الشرطة تحيط المكان، وجدها وقع أرضًا غارقًا بالدماء، فقد قام بقتله الرائد عندما وجد أنه سيقتل فارس، قام بقتله سريعًا حتى لا يتأذى الشبح.

كانت نظرات فارس مسلطة على عين سليمان، كأنه يخبره بأنه حقق النصر بالحق، رأى أمامه الموت يحتضنه بترحاب لينال الجزاء، ظل فارس يتأمله بشعلة الإنتقام ليراها انطفأت أم ما زالت مشتعلة وتأبى الإنطفاء، تم القبض على الفهد وأبيه بتهمة قتل الليث، وكذلك تم القبض على

رجال سليمان الأنصاري. وقف فارس ينظر لنقطة ما بشرود ليقترب منه الرائد بفخر قائلاً بابتسامة مهنئة على النصر:

_ها قد عاد حقك فارس، أرح قلبك وعد للحياة مجددًا.

نظر له فارس بعينا تلمع بالدمع قائلاً:

كنت على يقين بنصر الله، أشكرك أسامة على وقوفك معي لإظهار الحق.

ابتسم أسامة الصديق القديم لفارس، والذي عاونه كثيرًا لكشف الفهد وسليمان قائلاً بثقة:

_كنت أعلم أنك على حق فارس، وساندتك لإظهاره، لم أفعل الكثير.

وقف خالد المتألم من الجروح قائلاً بتعجب:

_لم أفهم شيئًا، كيف حدث ذلك؟ كيف تحمل وجه الليث!!!

نظرت له ريفال باهتمام، كأنها بانتظاره ليجيب على تلك الأسئلة التي تحاربها منذ الوهلة الأولى

فتحدثت جواهر بدمع ممزوج بصوتها قائلة:

_ترك زوجي لنا ثروة كبيرة جعلتنا مطمع للجميع، حتى أخوه أراد الفوز بتلك الثروة العظيمة، لم يبال بالطريقة كل ما يشغله الحصول عليها، رغم أنه نال حصته ولكن الطمع مملوء بقلبه، حكم أن حياة الليث وابنه مفتاح لتلك الثروة؛ فحاول جاهدًا لقتل الليث ولكنه لم يتمكن من ذلك، حتى الليث كان يعلم بأن هناك من يريد قتله ولكن لم يشك بالفهد وعمه أبدًا، لم يعلم بأنهما من يخططون لدماره، أغمضت عينيها بألم شديد ثم أكملت قائلة:

_أتذكر عندما تأخر بالعودة من عمله وحدثته لأعرف أين هو؟ أخبرني

بأن هناك عملاً هامًا بالإسكندرية، وأنه سافر مع فهد بالقطار، تعجبت من سفرهم بتلك الطريقة، لأول مرة يصعد الفهد على متن قطار، لم أكن أعلم أنها طريقة لقتل ابني بلا رحمة.

أكمل فارس قائلاً:

_علمت من أحد رجاله بعدما قدمت له المال أنه قام بتسميمه أولاً ثم دفعه من القطار.

هنا علمت ريفال سر الزجاجة التي أعطاها فارس للفهد أما خالد فتساقطت الدموع من عينيه، وكذلك الرائد أسامة عند سماعهم لبكاء هذه الأم.

جواهر بصوتا متقطع:

_ دفعه من القطار بدون رحمة؛ ليسقط بين الحقول و المزارع، وتبقى على القضيب حقيبة صغيرة تحمل كل شيء يخص ابني، أوراق هامة، وجواز سفره والبطاقة الخاصة به.

أكمل فارس قائلاً:

_الليث كان معهم بأول القطار وأنا أواجه مصيري بآخره، لم أكن أعي بشئ سوى ضربات قاتلة على وجهي بالزجاج، ضُربت حتى الموت وسقطت كالجثه أرضًا. أتذكر عندما حملوني ثم ألقوا بي لأسقط بجوار تلك الحقيبة التي منحتني حياة أخرى،

فقدت الوعي ولم أشعر بشيء كأني بعالم آخر.

أكملت جواهر والدمع حليفها:

_علمت بأن ليث تعرض لحادث بعدما أخبرني العامل بالمشفى، ركضت

وقلبي يكاد يتوقف من القلق عليه، فأخبرني الطبيب بأن إصابته بالغة، وتتركز بوجهه حتى أنه شُوه تمامًا وأنه بالجراحة بكيت كثيرًا، ليطمئني بأن الطبيب محترف بالتجميل وسيعيد وجهه كسابق باستخدام الصور الموجودة بالحقيبة لليث مع جوان وصورًا أخرى كثيرة، نجا من الموت بأعجوبة بعد ما وجدوا زجاج بجانب الأحبال الصوتية فأدت إلي تضخم صوته بعض الشيء ثم خرج من العمليات، لأتفاجأ به؛ فالليث جسده مختلف بعض الشئ عن فارس، بدٍأ يستعيد وعيه بعد أيام، لأتاكد بأنه ليس ابني بكيت كثيرًا وكادت أن أجن؛ لأعرف أين هو الليث؟

واستأجرت رجالاً وطلبت منهم البحث بالمكان الذي وُجِد فيه فارس والأوراق الخاصة بابني.

بكت بصوت مؤلم، جعلت الدموع تسيل بعين الجميع حتى ريفال بكت لتكمل بصوت يكسوه الأوجاع لذكرى فقدان ابنها:

_وجدوه بأحد الحقول خلف مجموعة من الأشجار؛ لذا لم يتمكن أحد من العثور عليه.

كنت بين اختيارين، كلاهما أصعب من الآخر، أنْ أُعُلِن وفاة الليث وأحارب فهد وأبيه بمفردي، والآخر أن أستغل وجه ابني لَحماية حفيدي.

كنت بموقف عسير، ولم أجد اختيارات غير ذلك؛ أنا امرأة ضعيفة عاجزة عن حماية نفسي وحفيدي، لم أتمكن من ذلك بمفردي،

دفنت ابني بصمت وعيناي تذرف دموعًا لأجله، قلبي مطعون بنيران فراقه، ولكن ليس بيدي سوى الشكوى لله وشكره على منحي سندًا كفارس، أخبرته بكل شيء بعدما استعاد وعيه، حتى هو أخبرني بما حدث لكما من ظلم سليمان الأنصاري.

من هنا تعاهدت على مساندته، وهو أيضًا تعاهد على ذلك.

اقترب فارس منها وقبل يديها بمحبة قائلاً بحنان:

_أنتِ أمي، لم أعتبرك مجرد وسيلة لمساعدتي برحلة انتقامي.

احتضنته بحنان قائلة:

_أعلم ذلك بني.

بكى خالد، واقترب من فارس بعين تحمل دمعة هاربة من عينيه، وعلى وجهه ابتسامة أن رفيقه ما زال على قيد الحياة، ارتمي بأحضانه يبكى بشدة.

الرائد أسامة:

_لم أكن أعلم بكل ذلك عندما جاء فارس إلىَّ، وقدم لي مستندات تخص سليمان الأنصاري، أردت أن أقبض عليه بالحال، ولكنه رفض ذلك؛ أراد أن يكمل رحلة انتقامه، عجزت عن منعه لرؤية الصدق بعينيه .

ابتسم فارس بسخرية قائلاً:

_وكل شيء تبدل إلا هي.

نعم، وجهه تبدل وصوته تبدل قليلاً، ولكن عينيه فظلت كما هي باللون الرمادي.

ابتسموا جميعًا إلا هي تبكي لمعاناة محبوبها، وزادت هي معاناته عندما لم تصدق حديثه، وعجزت عن التعرف عليه. دلفت الخادمة ومعها جوان؛ فقد أمرتها ريفال بأن تهرب به ولا تعود إلا عندما تشعر بالأمان. ركض جوان لأحضان فارس وهو يناديه بأبي، فابتسم واحتضنه بحب شديد.

انسحبت بهدوء حتى لا يشعر بها أحد؛ فقلبها مجروح مما فعلته، دلفت

إلي الغرفة العلوية وجلست على الفراش تبكي بصمت،

ثم استمعت لصوت الباب يُغلق فرفعت عينيها لتجده يقف أمامها، اقترب منها والهدوء يخيم على المكان فقط النظرات هي من تتحدث وتنقل ما بقلوبهم، جذبها برفق حتى تقف أمامه فترى ما تخبرهاعيناه، ذرفت عيناها الدموع عندما تذكرت الفراق وليالي العذاب بدونه، فجفف دموعها بحنان كأنه يخبرها أنه عاد من جديد لن يتركها مجددًا، ارتمت بأحضانه تبكي بصوت مرتفع مرددة الأسف له على غبائها، كانت تتشبث به حتى لا يفرقهم القدرمرة أخرى.

رفع رأسها بيده قائلاً بمزح:

_ علمت الآن لماذا دفعت رشوة بزواج الليث؟ لإنك زوجتي ريفال زوجة الفارس.

ابتسمت له قائلة:

_ تعذبت بغيابك.

قال بحزن:

_ أعلم محبوبتي، كنت أشعر بك، أراقبك من بعيد، قلبي كان يتحطم لأجلك، ولكن كان عليَّ الصمود ريفال لأجل الانتقام. بكت ريفال عند تذكرها لجدها, فكم تمنت أن يتبدل للأحسن، دعت له بالرحمة ولجدتها بالصبر، فمهما فعل بالنهاية هو جدها.

اقتربت من فارس بعين تحمل الدموع؛ فقرأ ما تريد محبوبته قوله ولكنها عاجزة عن طلبه منه

ليبتسم بمحبة قائلاً:

_ عفوت عنه ريفال.

احتضنته بسعادة لتمضي معه حياتها بلون آخرغيرالأوجاع والدموع، حياة جُمِع بها العاشق والمعشوق بعد طول انتظار، وفراق طال كثيرًا وانتهى باَللقاء.

الفصل الثالث عشر

مرت الأيام بسعادة عليهم، واجتمع العشاق بعد طول غياب انتهى بحب واشتياق، سافرت ريفال مع زوجها فارس بمفردهما للإسكندرية؛ حتى تلتقي بـ رفيقة دربها، وبالفعل اجتمعت معها بسعادة تساعدها بزفافها الذي تأجل فترة لموت سليمان الأنصاري .

تم الزفاف بجو إسلامي بسيط بمنزل أنس، وحضره العائلة فقط لأجل الوفاة، كانت شذا ترتدي فستانًا أبيض بسيطًا وحجابًا أبيض جعلها كالحورية، وكذلك ريفال ارتدت فستانًا باللون الزهري وحجابًا أسود ولم تضع أي مساحيق تجميل فكانت كالأميرات.

أما لين فكانت ترتدي فستانًا باللون السماوي وحجابًا أبيض بسيطًا فكانت جميلة حقًا، صمم خالد حضور الزفاف؛ حتى يطلب لين من والدها، وكذلك حضرجاسم ووالده فقد أبَى الحضور، تم عقد القران بجو مشحون بالحب والرخاء لتصبح زوجته شرعًا وقانونًا، هنأهم الجميع بسعادة، أما لين فدلفت للغرفة وأحضرت ليان حتى تسعد برفيقتها؛ صُدم جاسم عندما التقى بها، نعم هو من تسبب لها بذلك الحادث الأليم, هو من جعلها عاجزة هكذا, لم يتحمل الجلوس ورؤيتها هكذا؛ فغادر على الفوروالغضب يأكله على ما ارتكبه بحق تلك الفتاة، جلس خالد بجانب فارس وأخبره أنه يريد الزواج بتلك الفتاة، تعجب فارس ثم ابتسم بسخرية على دهاء صديقه؛ ليعلم ما سر حضوره المفاجئ للزفاف.

خالد بغضب:

_أ أخبرتك بشيء مضحك!!

فارس بسخرية:

_لا, ولكني لن أطلبها لأجل رجل أحمق.

غضب خالد ووقف قائلاً بصوت مرتفع فقد أنساه الغضب من حوله:

_سأطلبها بنفسي شكرًا لمساعدتك .

نظر له الجميع بدهشة، ليجلس بجانب فارس الذي يضحك بشدة على غباء رفيقه

أنس باستغراب لفارس:

_ما به رفيقك؟!

ضحك فارس بصوته كله قائلاً:

_يريد الزواج.

ضحك الجميع ليتحدث أنس بدهشة:

_ومن يريد الزواج يتحدث هكذا!!!!

رائد بمرح:

_ ويفعل أكثر من ذلك.

ابتسمت شذا بخجل شديد، كانت لين تجلس بجانب ريفال تتحدث معها بحرية فقد أحبتها بشدة،

توقف قلبها حينما استمعت لفارس قائلاً بجدية:

_ خالد يريد الزواج من ابنتك عم أنس.

فوجئ أنس بحديث فارس وأخبره بأن يتركه يحسم أموره ثم يخبره بما قرر، خجلت لين كثيرًا حتى أنها انسحبت بهدوء إلى غرفتها حتى تتهرب من نظراته.

مر اليوم بسعادة عليهم، وعاد رائد مع زوجته إلى القصر باصطحاب لورا، أراد العم أنس أن تبقى معه ولكن رائد رفض ذلك؛ فهو يعلم ما الذي تريده شذا وتخجل من الحديث عنه، صعدت معه لغرفتهم الخاصة لبدء حياتهم بعشق وحب.

كانت ريفال سعيدة عندما اصطحبها فارس للشاطئ؛ فكانت تتأمل البحر بإعجاب شديد، مُزجت الأجواء بحب الفارس وعشق ريفال، كانت الأمواج ترتطم ببعضها البعض كأنها تحتفل بتجمع العشاق بعد فراق شهد بالأوجاع والآلام.

ريفال بابتسامة حب:

_ تحققت كل أمنياتي برؤيتك على قيد الحياة، كنت أدعو دومًا بأن تُقَرعيني بك.

ابتسم فارس وتطلع لعينيها بعشق دفن بقلبه قائلاً:

_لم يرد الله فراقنا ريفال، لا أعلم كيف تحملت كل هذا العذاب! قلبي كان محملاً بالجروح كنت أراك بالقرب مني ولم أستطع أن أضمك بين أحضاني.

_رأيتك تبكين ولم أستطع أن أجفف دموعك بيدي، كنت أقتل ببطء وأنا أراقبك من بعيد.

زفر بألم عندما تذكر همسات من الماضي الأليم، ليجد يدها موضوعة

على يده بحنان كأنها تخبره بأنها الدواء لجروحه، هي النسمة بجو مملوء بنيران الحقد والغل، تطمئن قلبًا عافر لينال الحق والأمان، نظر لعينيها التي تشبه عيون المها، شعر كأنها تحاوطه بجمال وخفة بعينيها.

***

على الجانب الأخر:

هناك قلب يبكي ألمًا لما رأه، تلك الفتاة التي ظل يبحث عنها؛ ليعتذر لها عما فعله، وجدها أخيرًا ولكن عاجزة عن الحركة بسبب ما ارتكبه، لا يعلم ما الذي عليه فعله؟ كيف يخبرأباها بأنه من فعل ذلك؟

تساقطت دموعه لشعوره بذنب كبير؛ فتلك الفتاة أصبحت عاجزة بسببه، لا يقوى والدها على معالجتها لفقره،هو من فعل بها هذا وجعلها عاجزة حتى عن الحديث، لم ينس نظراتها إليه كأنها تذكرت ما فعله بها.

***

مر الليِل بسكون على قلوب هوت العشق ونالت من بحوره، وجاء النهار محملاً بالبسمات وتحقيق الأماني، كانت تجلس بالأسفل بقلق شديد؛ فجاسم لم يعد منذ أمس، حتى أن هاتفه لايعمل، قلبها مقبوض على فلذة كبدها، ولا تعلم ما الذي عليها فعله؟

أرادت الصعود لرائد ولكن الوقت مبكر، ثم جلست تنتظر قليلاً لعله يعود، جلست والفكرلا يترك بالها.

لأول مرة تشعر بإهمال زوجها لأولادها لأجل المال، لم يكلف نفسه عناءًا في السؤال عليهم، يعيش لجمع المال وتوسيع أملاكه. هبطت دمعة خائنة على وجهها؛ فقلبها تمزق من بعده عنها وتركها لتتولى هي الأمور، رفعت هاتفها تتفحص هاتف جاسم ولكنه خارج نطاق التغطية.

لم يعد لديها خيارآخر، فصعدت لغرفة رائد وطرقت الباب، انتظرت قليلاً

ثم أعادت الطرق مرة أخرى، لتجد أمامها شذا بقلق فريهام يبدوعليها الحزن:

_ما الأمر أمي؟هل أنت بخير!!

كادت أن تزعجها بالحديث ولكن ليس هذا وقته؛ لذلك فقالت لها بصوت حزين:

_أريد رائد، أيقظيه فورًا.

شذا بلهفة:

_أجل سأفعل.

وتركتها ودلفت أيقظت رائد الذي خرج على الفور ليرى ماذا هناك؟

رائد بلهفة لرؤية دموعها:

_ماذا حدث أمي؟

ريهام بدموع:

_لم يعد جاسم للمنزل منذ أمس، حاولت الوصول إليه ولكن هاتفه مغلق.

صُدم رائد، وأخبرها أنه سيبحث عنه ولن يعود إلا وهو معه.

وبالفعل أبدل ثيابه ثم غادر مسرعًا يبحث عنه، أما ريهام فجلست على المقعد بإهمال تبكي حالها، لتجد يدًا ما موضوعة على كتفيها بحنان، رفعت وجهها لتجد زوجة ابنها التي وقفت بجوارها تحاول تهدئتها.

نظرت لها قليلاً ثم بكت قائلة:

_لا أمتلك سواهما.

جلست بجانبها وقالت هي الأخرى بدموع تلمع بعينها:

_سيكون بخير، لا تقلقي ثقي بالله خيرًا تجديه.

رفعت عينيها لتجدها تبكي هي الأخرى, فعلمت أن تلك الفتاة قلبها يحمل الحنان الدافئ.

رفع رائد هاتفه وطلب فارس لعله يعلم أين جاسم؛ فهو تعرف عليه بالأمس وتعلق به بشدة، فأجابه بأنه ليس على علم بمكانه، وطلب منه أن يأتي أمام الفندق ليبحث معه عنه. وبالفعل ذهب رائد وفارس يبحثان عنه ولكنهما لم يجدا شيئًا. صف رائد سيارته بإهمال وهبط هو وفارس على الشاطئ.

فارس بهدوء:

_أهدأ رائد، ستجده بإذن الله.

نظر له رائد بخوف قائلاً:

_أتمنى ذلك فارس.

جاسم ليس شقيقي، اعتبره كابن لي، أعلم أنه يفعل هكذا عندما يشعر بالذنب، ولكن عليَّ إيجاده؛ فأمي لن تكف عن البكاء

فارس بتفهم:

_لا تقلق سنجده بالتأكيد.

كاد أن يتحدث ليجد هاتفه يصيح باسمه فرفعه بلهفة ليأتيه صوت أخيه الباكي:

_ أحتاجك أخي.

رائد بقلق ولهفة:

_أين أنت؟ أخبرني على الفور.

أخبره جاسم عن المكان الموجود به فتوجه هو وفارس إليه؛ ليجدا جاسم في حالة لا يُرثي لها.

رائد بخوف:

_جاسم، هل أنت بخير؟

بكي جاسم قائلاً:

_أجل، ولكن قلبي يتألم بعد رؤيتها أخي.

فارس باستغراب:

_رؤية من؟!

هنا ربط رائد الخيوط ببعضها؛ ليعلم بأن ليان هي التي تسبب لها شقيقه بالإعاقة. سرد جاسم كل شيء لفارس ليحزن على تلك الفتاة؛ فهو أخطأ بحقها بشدة .

جاسم بنبرة تحمل الندم:

_ماذا سأفعل الآن؟

صمت فارس قليلاً يوزع نظراته بين رائد وجاسم بغموض.

ثم قال:

_عليك بمعالجتها.

رائد بحزن:

_لن يقبل والدها فارس، فالعم أنس يحفظ كرامته فوق الجميع.

فارس بهدوء:

_أعلم ذلك، لن يظهر جاسم ولا أحد منا.

رائد بعدم فهم:

_ماذا تقصد؟

فارس:

_ هناك مشفى يتم التبرع بها بمبلغ كبيرة من قبل رجال أعمال، لا يُعلم من الذي تبرع له، ولا يعلم المريض بمن ساعده منعًا للحرج. سنفعل ذلك نذهب للطبيب وتتكفل بعلاجها بدون أن يعلم أحد.

رائد بإعجاب:

_ أحسنت فارس.

جاسم بسعادة:

_أجل, سأفعل على الفور، أشكرك فارس.

فارس بابتسامة زادته وسامة:

_لا عليك.

رائد:

_ لنعود للمنزل أمي ليست على مايرام.

وبالفعل صعد فارس مع رائد بالسيارة وتبعهم جاسم بسيارته.

وصلت ريفال للقصر؛ حتى تكون مع رفيقتها وزوجة عمها على الرغم من تباعد العلاقة بينهم، ولكن الواجب لا يتغاضى عنه أحد.

جلست معهن تحاول إخراج ريهام مما هي فيه، وبالفعل استجابت لهن وبدأت بالضحك، حتى أنها أخبرت ريفال عن والدتها؛ فكانت الرفيقة المقربة لها، أخبرتها أن علاقتهم لم تنقطع حتى بعد أن انتقلت مع زوجها للإسكندرية؛ حتى يتولى الأعمال.

ظللن يتبادلن الحديث حتى استمعن لأصوات السيارات بالخارج؛ فهرولت ريهام إلى الخارج لتشعر بانطفاء نيران قلبها عند رؤياه.

احتضنته ريهام وحمدت الله ثم عاتبته على ما فعله، أعتذر منها كثيرًا وأخبرها أنه كان بحاجة أن يكون بمفرده، دلف الجميع للداخل وقضوا يومًا مرحًا بالقصر قبل عودة فارس وريفال إلى القاهرة، كان الجميع سعداء إلا جاسم كان يفكر بالقادم والمجهول

الفصل الرابع عشر

بالصباح الباكر:

عاد فارس وريفال للقاهرة ثم توجها للقصر ليجدا جوان بانتظارهما، ركض لأحضان ريفال معاتبًا إياها بحزن على تركه هنا وسفرها بدونه، فاعتذرت له وأخبرته أنها بالمرة المقبلة ستفعل بالتأكيد، كانت جواهر تتابعهم ببسمة رضا، ليقترب منها فارس ويقبل يدها بحب شديد؛ فهو عوض الله لها وهي العوض له.

بالأسكندرية

اتفق جاسم مع الطبيب المسئول عن حالة ليان، على أن يتكفل بجميع المصاريف الخاصة بعلاجها ولكن عليه أن يبقي الأمر بالكتمان، وافق الطبيب وبالفعل أخبر أنس الذي رحب على الفور، ودعا الله كثيرًا لهذا الرجل بأن ينال ما يتمناه.

وبالفعل بدأت ليان بمرحلة العلاج، وكان بجوارها أبوها وشذا والجميع إلا هو يتابع من بعيد، لا يعلم ما الذي يربطه بتلك الفتاة ولكنه يشعر بالراحة لرؤيتها.

فتخفى ليلاً لرؤيتها ليجدها تجلس على الأريكة، وبيدها المصحف الشريف تقرأ به بتمعن وسعادة تلمع بعين حُرمت من حمل كتاب الله، راقبها من بعيد ثم غادر وقلبه يتلهف للحديث معها، لا يعلم ما المميز بتلك الفتاة، لا يعلم أن العشق أوقعه بشباكه.

بقصر الليث:

كانت السعادة حليفته بعد الشقاء والظلام لعودة محبوبته لأحضانه مجددًا، لم ينس ما فعله ليحصل عليها وها هي بين ذراعيه، ليحمد الله كثيرًا على نعمته منحه أم بحنان يكفي العالم بأكمله، وبنًا كجوان كأن عالمه صغير ولكن تحفه السعادة، تعلق بهم جميعًا وتعلقوا به حتى جواهر تعلقت بريفال كثيرًا واعتبرتها كابنة أنجبتها هي، حاولت جواهر أن تقنع فارس بالتخلي عن هذا الوجه، ولكنه رفض تغييروجهه حتى لا يعرف جوان الحقيقة فيحزن بخسارة والده هو الآخر، فيكفى حزنه على أمه ودموعه المنسابة لذكرها، رفض بناء سعادته على تحطيم قلب هذا الطفل الصغير، لن يحتمل فقدان أبيه وأمه.

بقصر سليمان الأنصاري:

كانت سوزان تقف بالأعلى تتأمل القصر بحزن شديد؛ فهو فعل الكثيرلأجل الثروة وهاهو تركها للآخرين، لم يأخذ سوى عمله. فهل ستشفع له الأموال أم القصور؟!!! لن يوجد سوى أعماله التي فعلها بدنياه، ذرفت دمعة خانتها على ذكراه؛ فهو كان زوجها تلك الحقيقة لن تنكرها، خانتها تلك الدمعة التي هوت على وجنتها لتذكره ماذا فعل بالجميع؟ كيف أنه ظلم الجميع بحقده وطمعه للمال!! جعلهم كالدُمى المتحركة بخيوط بيده لا يشعر بمعاناتهم ولا لصراخ قلوبهم، ها هو الآن يعاقب بلا شك على أفعاله.

بقصر رائد
استطاعت شذا أن تكسب قلب ريهام بحنانها؛ فهي لم تر تلك المعاملة من قبل، كانت تجلس على الأريكة بتعب مغمضة العينين لتستيقظ على صوت شذا:

_ تناولي هذا أمي، ستصبحين بخير.

نظرت لها باندهاش ثم تناولت الكوب منها وارتشفت منه، لتشعر فعلاً بالراحة فسألتها بدهشة:

_ماذا يوجد فى هذا الكوب؟

قالت بابتسامة:

عصير برتقال.

قالت بسخرية:

_لم أكن أعلم أن البرتقال مضاد لوجع الرأس.

ابتسمت ابتسامة هادئة ثم قالت:

_ ليس كوب برتقال عاديًا بل مقدم بدعوات لك بالشفاء، لذا ستتعافى قريبًا .

هكذا كانت تخبرني أمي رحمها الله، لمعت الدموع بعين ريهام لتحتضنها بحنان؛ فتلك الفتاة مميزة للغاية، عاد رائد من العمل ليجد زوجته بأحضان والدته فابتسم برضا ثم قال بمزح:

_ ابتعدي، عنها ابتعدي.

وجذب شذا برفق من أحضان والدته

تحت نظراتٍ اندهاش من والدته، أبعدها قليلاً ثم تمدد ورأسه على قدميها قائلاً:

_ ضميني لصدرك أمي أنا لا هي.

ابتسمت ريهام وكذلك شذا، لتضع يدها على رأسه بحنان قائلة بسخرية:

_حسنًا، صغيري.

انفجرت شذا من الضحك وكذلك ريهام لينظر لهم رائد بغضب مصطنع ثم ينفجر من الضحك هو الآخر

ركض جوان بسعادة في الحديقة بين الأزهار، يختبئ من ريفال التي تبحث عنه وهي معصوبة العينين، لم تستطع إمساكه بسهولة، خطت خطوات سريعة فتعثرت بشيء ما ثم سقطت بين ذراعيه، ليزيل تلك الغمامة من على عينيها حتى تلتقي برمادية عينيه الساحرة، كانت النظرات بينهما كتوقف الزمان لترك مجال للعشق حال بينه العذاب وحطمه ثم يعود أقوى مجددًا بالحب والهمسات.

بقصر سليمان الأنصاري:

هبطت سوزان للأسفل تتأمل القصر الواسع عليها ولا يوجد به سوى الخدم، فرفعت هاتفها تحدث رائد كي يترك الإسكندرية ويعود للقاهرة؛ فهي بحاجة إليهم وبالفعل استجاب لها رائد؛ فهي تحتل مكانة خاصة بقلب حفيدها حتى أن شذا سعدت حتى تستطيع رؤية رفيقتها، وكذلك ريهام سعدت للعيش مع سوزان فهي تحبها كثيرًا، ولكن كانت تبغض الذهاب لأجل سليمان، وها هو أصبح ماضي لعين والمستقبل لهم. توجه الجميع للقاهرة على عكس جاسم الذي رفض العودة للقاهرة

لسبب مجهول أبى ذكره لكن فهمه رائد؛ فأخيه أصبح متيم بتلك الفتاة.

مرت الأيام.....

وبدأت ليان تتحسن بصورة ملحوظة حتى أنها بدأت تتحدث قليلاً، كانت الفرحة التي يشعرها لا تسع الكون بأكمله وهو يتابعها تتعافي شيئا فشيئًا حتى أنه كان يتسلل لرؤيتها من بعيد، هي تعلم وتشعر به وبوجوده، فهي عفت عنه منذ ذلك اليوم الذي التقت به صدفة لتجد الندم يسيطرعلى عينيه، تقدم منها بخطوات مترددة عندما رآها تجلس بحديقة المشفى، فرفعت عينها الزرقاء لتلتقي بعيناه السمراء، نظرت له نظرة غريبة لا يفقه معرفة ما بها، جلس على المقعد المقابل لها بصمت حتى هي تتأمل قسمات وجهه بانتظارما سيقول.

جاسم بنبرة حزينة:

_لا أعلم أن كنت تعلمين بأني من تسبب لك بهذا؟ ولكن أردت أن أخبرك بأني بحثت عنك كثيرًا، حتى أعتذر وأطلب منك السماح.

ثم أكمل بألم:

_لم أستطع نسيان ذلك الحادث، كلما حاولت فشلت في ذلك.

انقطع صوته عن الخروج عندما استمع إليها قائلة بابتسامة بسيطة:

_ سامحتك من اليوم الذي رأيتك به وعيناك تحمل الندم، حتى أنك لم تستطع البقاء بالمنزل ورحلت بصمت.

نظر لها بصدمة فهي تتحدث ابتسمت ابتسامة هادئة قائلة:

_أشكرك على ما فعلته لأجلي، فلم تكتفي بالأموال لمعالجتي بل كنت تأتي لرؤيتي دائمًا.

كان ينظر لها بدهشة؛ فهي على علم بكل شيء حتى عندما يتسلل لرؤيتها تعلم بذلك أيضًا

قاطعتهما الممرضة عندما اصطحبتها لغرفتها تاركة جاسم في صدمة من تلك الفتاة، فعزم على أن تكون زوجته.

لم تسعها الفرحة عندما أخبرتها الخادمة بأن أباها بالأسفل يريد رؤيتها، هرولت للأسفل ولم تر الدرجات المؤدية لأسفل، كانت تتمنى أن تطيراشتياقًا لرؤياه، نعم هو خذلها عندما طلبت منه حضورالزفاف وأغلق الهاتف بوجهها، قائلاً أنه ليس ملزمًا بذلك، رأته يحمل لورا ويداعبها فابتسمت بدموع، لا تعلم أنها ابتسامة مزيفة، هبطت وعلى وجهها سعادة تكفي الكون بأكمله، ليحطمها هذا الأب عندما يتأمل القصر بطريقة تحمل الطمع والحقد قائلاً لها بحقد:

_كنت أعلم أنك ستفعلين شيئًا ولكن لم أتوقع بأنك بذلك الذكاء.

نظرت له بدهشة قائلة:

_وعن أي شئ تتحدث أبي؟

قال والحقد يملأ عينيه:

_ عن تلك الثروة التي ستصبح بيدك.

دمعت عيناها على ما تستمع إليه، لتقول له بنبرة هادئة على عكس ما بداخلها:

_عُد أبي فأنت لم تتغير أبدًا.

وجذبت لورا من بين يديه واستدارت لترحل، حتى لا يرى أحد دموعها، فرأته ممسك يدها بقوة قائلاً بعصبية شديدة:

_لن أترك تلك الثروة لك، سأنال جزءًا منها أتسمعين؟

وتركها ورحل لتجلس أرضًا، عيناها تنظران لظله حتى اختفى تماما لتبكي بحسرة على حالها، أهذا أبًا أم ماذا؟؟!!!!

عاد رائد ليجدها جالسة أرضًا محتضنة لورا وتبكي بشدة حملها لتقف أمامه بقلق شديد قائلاً بخوف:

_ما الأمر شذا!!

بكت بأحضانه لتقول بصوت يمزق القلوب:

_ لقد تذكرني أبي بعد كل ما مرعلينا لأجل المال، يظن أنني أوقعتك للزواج بك حتى أحظى بالثروة.

زاد بكائها قائلة:

_هكذا أخبرني أبي رائد.

بكت ليحتضنها بشدة وأخبرها أن عليها نسيانه؛ فهذا ليس أبا هوعبدًا للمال

كانت لين على علاقة دائمة بين ريفال وشذا حتى أنها كانت تسافر لرؤياهما، استغل ذلك خالد ليسرق نظرات إليها،

واستغل وجود أنس بالقاهرة للاطمئنان على شذا بأن جعله يتعهد بتزويجها له ولكن بالوقت المناسب.

أما شذا فكانت تتوجهه كثيرًا لرؤية رفيقتها، حتى أنها كانت تقضي معها اليوم بأكمله بعدما تخبر رائد ويرحب بذلك، فقد توطدت علاقته بفارس وأسسا شركة بالقاهرة بمال فارس الخاص وكذلك رائد ليعملا بجهد كبير لتكبيرها .

تقرب جاسم من ليان فكان يزورها دائمًا بالمشفى للاطمئنان عليها، طرق على الغرفة ليستمع لصوتها تحثه على الدخول، دلف ليجدها تجلس على الفراش وبيدها الهاتف تتحدث مع أختها لين، جلس بانتظارها حتى تنهي المكالمة، وبالفعل أنهت المكالمة بعد أن اطمأنت عليها وضعت الهاتف بجانبها ثم نظرت له بخجل، ليقترب من الفراش ولكن مع تحفظ المسافة، نظرت له قليلا ثم وضعت عيناها أرضا قائلة بنبرة يائسة:

_ ماذا تريد جاسم؟

ابتسم لها وقال:

_الزواج بالأميرة المغرورة .

زفرت بحنق فهو لم يكف عن تكرار طلبه وهي ترفضه كثيرًا ولا يمل.

جاسم بغضب مصطنع:

_ لماذا لا تريدين الزواج بي؟ أنا حلم فتيات كثيرة .

ابتسمت بهدوء وقالت:

_أعلم ذلك؛ لذا أخبرتك بالبحث عن أخرى.

نظر لها بجدية قائلاً:

_ قلبي أرادك أنت ليان.

كادت أن تتحدث ليقطعها قائلاً:

_أحبك.

لم تستطع الحديث ووضعت عينيها أرضًا ليبتسم لها، ثم توجه للخروج وفتح الباب واستدار لها قائلاً بابتسامة جميلة: _حصلت على جوابي.

وغادرعلى الفور لتبتسم ابتسامة واسعة على هذا المجنون.

* ★ *

طلب جاسم من أنس الزواج من ليان رغم أنها مازالت لم تتعاف كليًا، مما أدهش أنس ليخبره جاسم بأنه لا يهمه سوى العيش معها، حتى أنه سينتظرها العمر بأكمله ولكن عليهم عقد القران حتى يستطيع زيارتها بالمشفى، شعر أنس بأن جاسم يكن مشاعر صدق تجاه ليان فوافق على الفور، وبالفعل تم عقد قرآن ليان، وجاسم ولين وخالد الذي طالب أنس بتنفيذ وعده أن لين له. لم تغضب والدة جاسم كباقي الأمهات لأنها منذ رؤيتها لشذا وأخلاقها صارت تثق باختيارأبنائها.

* ★ *

مرت الأيام ظل هو بجانبها يساندها على العلاج حتى تعافت تمامًا، وهو إلى جوراها يساعدها بحب مغمور بقلب حَلُمَ بها كثيرًا، وها هوالآن يحنو بها، كانت الأيام مغمورة بالسعادة بقصر فارس خاصة بعد معرفتهم بحمل ريفال الذي سعد به جوان كثيرًا لرؤية شقيق له، كذلك جواهر كانت تشكر الله على نعمه المتزايدة معها.

علمت شذا أيضا بأمر حملها وحمدت الله كثيرًا، وتمنت أن تحظى بفتاة تسميها على اسم رفيقتها ريفال حبًا لها.

* ★ *

الفصل الخامس عشر

أَيُّهَا الْحُبّ السَّاكِن بقلب هوى

للعشق صَار مُتَيَّمٌ

جَاهَد لِلْحُصُول عَلِى حريته

وَلَكِنَّهُ فَشَلٌ فِي نيلها

نَسَجَت خُيُوط مِنْ غَرَامِك

لارتدي صُوف مَحَبَّتِك وعشقك المتيم

فتاهَت عَيْنَاي فِي عَسَل عَيْنَيك الصافي

ذَهَبًا يحاوطه حُصُون لحمايته

بَعَثَت رِسَالَتِي لِقَلْبِك المتعجرف

ليستشعر بقلب بَات متألمًا

نبضات قَلْبِي تَعْلُو لتعلن إِنَّك مِلْكًا لعرشه

أَيُّهَا الْمَعْشُوق عَلَيْك لَعْنَة حبي

ستظل حليفتك لِيَتَوَقَّف نَبْض قَلْبِي

فَكَم تَمَنَّيْتُ أَن أَعْثَر نِهَايَةٌ بَحْرٌ عشقك المنتهى

قَلْبِي يتراقص عَلِى طَرِب صوتك

لَيُخْبِرَنِّي بِأَنَّه معشوقك

كَم يَتَبَدَّل حَالِي عِنْد رؤياك
أَشْعَر بِأَنِّي فِرَاشِة بالبستان
تَطِير بِحُرِّيَّة لَا حرمان
وعطرك يَفُوح بالأمان
يَجْعَلَنِي أَتُنْقَل بَيْن عطور زُهُور الجوري
اسْتَنْشَق جَمَال الأزهار
وأهمس لَهَا بقصتي الْمَكْتُوبَة بعشق وجنون
أَيُّهَا الْقَاسِي هَل مازالَت لَا تُشْعِر بِجُنُون حِبِّي؟؟!!! . . . . . .
بَحَثْت كَثِيرًا عَن جَمَلًا لتخبرك حِبِّي وَلَكِنِّي لَمْ أَجِد سَوِى كَلِمَة
بعثتها إليك
فحبي لَك أقوى مِنْ حروف
حِبِّي لَك يُسْطَر بمئات السطور
يسطره أَقْلَامٌ مِن الْعِشْق المذروف
أَقْلَامٌ تُعْلِن أَنَّك مِلْك عَرْش قَلْب هَوِى حُكْمِك الْأَبَدِيّ وَلَوْ طَال لمئات القرون
سَيَكُون فَرَحًا ومسرورًا
أَيّهَا الْمَلِك المتحكم بقلب عشقك بجنون
كُنّ مُنْصِفًا وَلَا تَقُلْ إنِّي حُبّا لَك
أعشقني كَتَاج تَتَزَيَّنُ به

فَهَل يُصْبِح الْمَرْء مِلْكًا بدونية؟؟!!! . . . .

تلك الكلمات دوَّنتها ريفال على ورقة تحمل الكثير من المشاعر الصادقة, حتى بعد أن مر الكثير من الأعوام ومازال قلبها ينبض بحب الفارس، قاطع شرودها في ذكريات مرت عليها كهفوات تحمل نسمات من الأوجاع والسعادة.

سيف باستغراب:

_أمي هل رأيت جوان؟.

نظرت له بتعجب وقالت:

_لا، أبحث بغرفته.

سيف بخوف:

_ بحثت أمي ولم أجده .

وقفت ريفال بصدمة على ما سيحدث إن علم فارس بأن جوان خالف حديثه، وخرج لرؤية هؤلاء الشباب مجددًا.

فقالت بخوف شديد:

_ ابحث عنه سيف، فإذا علم والدك لن يمررها على خير.

سيف بخوف على أخيه:

_ حسنًا أمي، سأبحث عنه.

وتركها سيف وغادر من القصر يبحث عن أخيه، بينما جلست ريفال والدمع يشق طريقه على وجنتها، تتذكرعندما كبر جوان وبدأ يتساءل عن اسم أخيه، كيف أنه يختلف عنه، حاولت ريفال أن تشرح له ولكنها فشلت بنهاية المطاف وعلم بحقيقة أبيه، حتى فارس بعدما علم

بالحقيقة ظل بهذا الوجه حتى لا يشعره بالحزن رغم معانته مع الأوراق الرسمية لفارس والليث، ولكنه تحمل الكثير لأجل إسعاده.

* * *

كان القمر يسطر أساطير بنوره الأبيضٍ كأنه يروي قصة فتاة جديدة، كانت تقف في شرفتها تتأمل القمر ليلاً بعينيها البنيتين التي تشبه أنهار من العسل الصافي، استدرات ريفال على صوت والدتها عندما دلفت الغرفة لإيقاظها لصلاة القيام، ولما لم تجدها نادتها بصوت مرتفع بعض الشيء. فدلفت من الشرفة قائلة ببسمة تزين وجهها:

_أنا هنا أمي .

ابتسمت لها شذا، فقد ظنت أنها بسباق عميق، ونسيت جرعة لراحة القلب وشفاء البدن؛ فصلاة القيام تريح النفس.

شذا بابتسامة:

_ظننت أن النوم تغلب على ابنتي.

ريفال بغضب مصطنع:

_لم أستطع النوم بدونها أمي.

ابتسمت شذا بحب لابنتها، ثم جلست معها تتسامران الحديث حتى أذان الفجر، تتحدثان كصديقات وليس كأم وابنتها.

* * *

بأحد الأماكن الخاصة بالمعاصي، نعم فهي قائمة على الخمر واللهو كان يجلس جوان على طاولة وإلى جانبه عدد من الشباب يرتشفون ما حرمه الله عز وجل، تلك السموم التي تُذهب العقل وتجعلهم يرتكبون الكبائروهم كالمغيبين، لا يشعر أحدهم ماذا يفعل ولا من ستكون

الضحية؛ لموت عقولهم، وعندما يستعدون وعيهم يصفعون أنفسهم ألف صفعة ولكن هيهات لا تجدي الندامة! ومع ذلك يعودون مجددًا لتلك السموم .

جلس جوان يتطلع إليهم بسخرية مما يرتشفون، نعم هولم يتذوقها من قبل ولكن يحب مثل تلك الأماكن ليشعر أنه أفضل من غيره؛ فالجميع ضعفاء بنظره يتهربون من مشاكلهم بتلك السموم، أما هو فبالرغم من أنه فقد والديه إلا أنه ما زال قويًا.

وقف سيف خارج هذا الملهى بتأفف، لا يريد أن يدخل مثل تلك الأماكن ولكنه مجبر؛ حتى لا ينال أخوه غضب والده،

وبالفعل دلف يبحث عنه، ليجده يجلس بجانب مجموعة من الشباب، يتأملهم وهم يرتشفون الخمر اقترب منه بخطوات مسرعة حتى يخرج من هذا المكان المقزز.

سيف بغضب:

_هيا أخي، دعنا نعود للمنزل.

تطلع له جوان كثيرًا ثم قال بهدوء:

_ دعني وشأني سيف عد مثلما تشاء.

سيف بغضب:

_لن أعود بدونك، فلو علم أبي بغيابك سيُعنفك.

ابتسم جوان بسخرية قائلاً:

_نعم أنا من يُعاقب دائمًا، هيا عد إلى منزلك ودعني وشأني.

اقترب منه بهدوء وضع يده على ذراعيه قائلاً:

_هيا أخي، نتحدث بالمنزل أفضل.

دفعه جوان بالقوة حتى كاد أن يتعثر، فوقف يتطلع له بدهشة ممزوجة بغضب فشل أن يخفيه عندما تحدث بصوت مرتفع للغاية، فتوقف الجميع عما يفعله وتطلعوا له.

سيف بغضب جامح:

_منزلي!!! عن أي منزل تتحدث. أعلم أن المنزل هو لك لكن أبي فضل البقاء به لأجلك، فعل الكثير والكثير ولكنك لم تر شيئًا، قلبك مغلف بغلاف الكره. هل سألت نفسك يومًا ما شعورك عندما تحمل هوية ليست لك، ولا وجهك؟ يجعلك تتذكر ما مربعذاب.

أبي تحمل كل ذلك؛ لإسعادك ليخبرك بأنه أباك، ولكنك لم تشعربما يفعله لأجلك، أخجل لأني أقف هنا بين هؤلاء السكارى وأخي يقف بينهما، بدلاً من أن يوجهني للصواب يجعلني أنا من أوجهه .

اقترب منه بعين حمراء من الغضب قائلاً:

_أجل سأرحل إلى منزلي، لن أقبل بعصيان ربي مثلما تفعل أنت.

وتركه ورحل مصدومًا مما استمع إليه، كأنه أخرجه من بئر الأوهام الذي بناه على خيالات، نعم لقد قدم له فارس الكثير، وقدم له هو العناء، خجل من أخيه الأصغر، فأسرع بخطواته حتى يلحق به فيكفي ما فعله منذ سنوات.

وجده يخرج بسيارته من المكان فتوجه إليه حتى وقف أمامه، نظر له سيف باستغراب فوجده يصعد للسيارة ويجلس بجانبه بهدوء، نظر له سيف قليلاً ثم ابتسم فهاهو أخوه قد عاد إليه مجددًا.

توجه سيف مسرعًا للقصر حتى لا يشعر بغيابهم فارس، فتصبح مشكلة

كبيرة وبالفعل وصلا القصر بزمن قياسي، ثم دلفا للداخل، لتهرول ريفال لجوان بقلق وخوف متضح بعينيها:

_ أين كنت بني؟هل أنت بخير؟!!

نظر لها بعين تلمع بالدمع فزاد قلقها لتقول بفزع:

_ أخبرني ما بك.

قال بصوت مزلزل من الأوجاع بداخله:

_بي الكثير أمي, لقد كنت كفيفًا لا أري شيئًا وساعدني أخي الأصغر برؤيتها، لا أصدق كم كنت أحمقًا هكذا.

نعم أنا عندما علمت بأمروفأة أبي وجدتي شعرت بأني بمفردي بهذا العالم، لم أر حنانك ولا التضحيات الذي فعلها أبي فارس لأجلي.

وضع رأسه أرضًا قائلاً بصوت محتقن من البكاء:

_ أشعر بالخجل منكم جميعًا.

احتضنته ريفال ببكاء حارق قائلة بصراخ يحمل الألآم:

_ أنت ابني جوان، أنا من قمت بتربيتك أنت بني أنا، فهمت .

شدد من احتضانها والدموع تسيل على وجهه، ليجد يدا ما موضعة على كتفيه تحت نظرات سيف المرتبكة من الذي سيحدث عندما يعلم أبيه بأن جوان كان بالملهى.

استدار جوان ليجد فارس يقف أمامه بعينيه الغامضة، حتى ريفال توقف نبض قلبها فهي تخاف على جوان من غضبه

،نظر له جوان بخجل شديد حتى كان يتهرب من نظراته، صُدِم الجميع عندما تحدث فارس قائلاً:

_أيها الأحمق، أخذت وقتًا كبيرًا لتعلم بأني والدك.

ثم استرسل الحديث بعينين تلمعان بالدمع:

_أُكن لك معزة خاصة لأنك الأكبر، أنت ابني جوان، يشهد الله أني لم أفرقَ بينك وبين سيف يومًا.

كنت أضغط عليك طوال تلك الأيام لأجعلك رجلاً صامدًا أمام الزمان، لا تعلم هذا العالم مثلما عرفته أنا .

أردتك صلبًا؛ حتى تستطيع حماية والدتك وشقيقك بعد موتي، صرخ جوان واحتضنه بفزع لفكرة أن يتركهم فارس، بكى بأحضانه مرددًا الأسف، ليجد صدرًا رحبًا يحتضنه بحنان، ليس قسوة الأباء كره بل تعليم لك لتكون أهلاً بالقادم، لا تعلم ماذا يخبئ لك المجهول فتكون دائمًا على استعداد لمواجهته .

أشرقت شمس جديدة تزيل الليل الكحيل حتى تظهر بنور ينير العالم بأشعتها الصافية، بقصر سليمان الأنصاري

كانت ريهام تحاول القيام لأجل إعداد الفطور كما اعتادت بالفترة الأخيرة، ولكن لم تستطع لوجع قدمها لتجد يدًا ما

تساندها على الجلوس مجددًا، رفعت عينيها لتجد زوجة ابنها الصغير ليان تنظرلها بغضب قائلة بعتاب:

_ألم أخبرك أمي أن لا تفعلي شيئًا؟ لمَ لا تستمعين إليَّ؟

ابتسمت ريهام بحب لها فهي تحمد الله كثيرًا لمنحها هاتين الجوهرتين الغاليتين، رغم أنها لم تكن مرتاحة لقدوم شذا من البداية ولكن عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرًا لكم؛ فهاتين الزوجتين يجعلان لحياتها طعمًا

بوجودهما، حتى وإن كانت تواجه معهما بعض المشاكل الطبيعية بين الحما ة وزوجة ابنها، ولكنها تجدهما دومًا يسامحان لها الكثير ويتقبلونه بصدر رحب، هبطت شذا هي الأخرى لتستمع لهم فتقدمت منهم بابتسامة:

_صباح الخير أمي.

_صباح الخير ليان.

ابتسمت لها ريهام ورددت الصباح بابتسامتها التي تنير هذا المنزل.

أما ليان فعبثت قائلة:

_حمدًا لله على قدومك شذا، فأمي لا تقبل السماح لي كلما أخبرتها بأن لا تجهد نفسها بالعمل أجدها تفعل العكس، هيا تحدثي معها حينما أعد الفطور للجميع.

وغادرت ليان تعد الطعام وهي تدندن بأذكار الصباح والصلاة على النبي، فهي اعتادت على ذلك حينما تعمل بالمنزل، جلست شذا بجانب ريهام تحاول إقناعها بأن تنتبه لصحتها أكثر من ذلك.

هبطت ريفال قائلة بصوت مرح:

_لقد أستيقظت هل من مستيقظ.

ضحكت جدتها عليها وعلى مرحها قائلة:

_لا لا يوجد أحد.

اقتربت منها ريفال بسعادة، وجلست بجانبها تتحدث معها بطريقتها المرحة التي تعرف الطريق لرسم البسمة على وجه الجميع

استيقظت لين ثم أيقظت زوجها للعمل، وكذلك ابنتها أيقظتها حتى تذهب لمدرستها، ثم تفرغت للحديث مع شذا وريفال لتخبرهما شذا بأنهم مدعون للعشاء بالقصر، رحبت ريفال ولين بالأمر حتى يجتمعوا مع بعضهم البعض .

أنهت شذا الحديث لتجد رائد أفاق من النوم فاستقبلته بابتسامة جميلة.

رائد:

_ صباح الخير.

شذا:

_صباح الأنوار.

ابتسم رائد لها، فهو يرى نفسه كبر بالعمر وهي مازالت ترى أنه صغير فتتغازل به بعينيه، قطع نظراتهم هبوط جاسم وهو يحمل طفله الصغير على يده، فلم يرزقه الله بمولود إلا بعد سنوات عديدة قضاها بصبر ودعوات لا يأس وشكوى.

جاسم للصغير بغضبٍ مصطنعٍ:

_أترك وجهي وإلا سأصفعك بشدة.

ضحك رائد على أخيه وكذلك شذا والجميع.

واقتربت منه ريفال بمرح قائلة:

_أخبرني أبي أن ابنك بالتاسعة من عمره.

نظر لها جاسم بصدمة قائلاً:

_لا مازال صغيرًا،عامًا واحدًا فقط .

ريفال بابتسامة مشاكسة:

_إذا لماذا تعامله كأنه لديه من الأعوام ما تعد!!!

غضب جاسم على تلك الفتاة المشاكسة وأعطى الصغير لها قائلاً:

_ تكفلي به ووالدك .

وتركها وجلس يتناول الطعام تحت ضحكات الجميع عليه.

• ★ •

أتى المساء وارتدت ريفال جلبابًا أسود فضفاضًا وحجابًا ذهبيًا جعلها كالأميرة رغم الملابس البسيطة، واستدارت للخروج لتجد من ينظر لها بحب وعشق، فمرت السنوات ومازالت القلوب عاشقة بل تتزايد عشقًا وهناء، كان يتأملها بحب شديد فخجلت من نظراته وهبطت أسفل تنتظرهم جميعًا، وبالفعل هبط جوان وسيف وفارس ثم توجها لقصر رائد،

حتى خالد ولين وريناد ابنتهما توجهوا للقصر، فهم اعتادوا على تلك السهرات إسبوعيا بمنزل الجميع.

جلسوا يتناولون الطعام بجو مملوء بالمرح والسعادة، حتى أن الرجال بعد العشاء اختلوا بأنفسهم بعيدًا عن النساء، وكذلك فعلت النساء.

جلس فارس ورائد وجاسم وخالد يتبادلون الحديث عن الشركات والمصانع، وكذلك فعلت النساء كعادتهم النبش في الماضي والحديث المملوء بالمرح والسعادة بوجود الصغار ووجود ريفال.

أما سيف وجوان جلسا منعزلين عن الجميع يتحدثان بما مرعليهم من أشياء، اجتمعا بها يساندان بعضهما البعض.

• ★ •

هكذا كانت حياتهم معمرة بالإيمان والتقوى، لا تخلو من المشاكل ولكن بوجود أباء كفارس ورائد كانت تحل، بوجود أمهات كريفال وشذا والجميع كانت تهون، كذلك الحياة تركيبة خاصة بين الأفراح والأحزان بين الأوجاع والآلام ولكن تخطوها جميعًا بالإيمان.

صمد فارس مع جوان سنوات ولم يمل من ذلك، وبالأخير تمكن من ترويضه، كذلك ريفال كانت تعافرلأجل تحقيق العدل بينه وبين سيف، أما العم أنس فرفض ترك الإسكندرية والعيش بالقاهرة كما طلب منه فارس ورائد، فجعله رائدالمسئول عن الشركة بالإسكندرية، وظل على تواصل بشذا ولين وليان حتى أنه يسافر لهم من وقت لآخر.

كانت ريفال تشبه كثيرًا ريفال الكبيرة، فكانت تقلدها بكل شيء لمحبتها لها حتى أن جوان أحبها لتشابهها مع أمه وتزوج بها؛ ليعاد الزمن مرة أخرى ولكن بعشق جوان وريفال .

الخاتمة

الْحَيَاة رَحْلة قَصيرَة بَيْن الْعَذَاب وَالْأَوْجَاع، بَيْنَ الْمَاضي والحاضر، بَيْن الذِّكْرَيَات المملوءة بالأشجان، رَحْلِة قَصِيرَة إلَى الْمَوْت؛ لننعم بِبَعْض الهُدوء والسكينة.

فَأَحْيَانًا نذق الْعَذَاب بصَمْت وَلَكِن نَموتْ منْ الدَّاخلِ؛ فوجع الْقَلْب أَصْعَبُ منْ الْوَجَع الجَسَدِي يُشْبه الْمَوْت البطئ.

نِتألم لأَسْبَاب كَثيرَةٌ وَلَكن النِّهَايَة مُوَحَّدَة كَأْس وَاحد منْ العذاب، لَنْ تَجدُ أَحَدًا يُشْعر بك وَلا بألَمك، لَنْ تجد دَوَاء لقَلْبك الْمَجْرُوح لَنْ تجد شفاءًا له طَالَمَا مَازَال يَنْبض، لَن تَوَقَّف الْألَام إلَّا عنْدَمَا يَقفُ عَن النَّبْضِ، حينهَا يَكُفُّ عَن الْأَلَم فَالْعَالم الَّذي أَصْبَحْنَا عَلَيْهَ عَالمٌ قَاسي ترىِ الْأخ يُقْتَل أخيه لأَجْلِ المال، وَالزَّوْجَة تَعْصي زَوْجهَا وتطعنه بظَهْره منْ أجل رَغْبَاتهَا الرخيصَة، وَالِابْنَة الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا عَلَى وَالدَيْهَا لِأَجْل مَاذَا؟؟!

رَأَيت بعَيْني الْحقْد وَالْكَرَاهيَة مَزْرُوعَة بقَلْب يَحْوي الجفاء، رَأَيْت الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُول، قاتَلَ مُسْتَأْجِر بِالْمَال لِقَتْل نَفْس بِلَا ضمير

ألاَ يَخَاف الْحَيُّ الْقَيُّوم؟!

ألا يَخَاف عِقَابه الْعَسِير؟!

كُلُّ مَا يَعْنيه لَهْو الْحَيَاة الْفَانيَة تذكرتها الْمَال فَيَجْمَعُه بشتى الطُّرُق حَتَّى لَوْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ.

لَا يَعْلَم بِأَنَّهَا سَتَأْتِي يَوْمَ الْبَعْث وَتُطَالِب بحقها..

بِقَوْلِه تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَت * بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلْت)

صدق الله العظيم

سَتَأْتِي لِتَطْلُب بِحَقِّهَا مِنْ الْمَلِكِ الْعَادِل الْمُتَكَبِّر المنتقم.

كَيْف ستواجهه يَوْمَ الْقِيَامَة؟!

مَاذَا ستخبره؟!

أقتلتها لِأَجْلِ الْمَالِ أَمَّا لِلَهْو الدُّنيا الْفَانِي؟؟

رَأَيْت بعيناي طِفْلٌ يَبْكِي جُوعًا رَأَيْته يَصْرُخ أَلَمًا وَلَم يَشْفِيه أَحَدٌ، تَرَكَهُ الْجَمِيع لِمُجَرَّد أَن وَالِدَتَه مخطئة.

لِمَاذا يُعَاقَب عَلِى ذَنْب اقترفته هِي؟!

لِمَاذا يُتْرَك لِلْمَوْت بِدَم بَارِد وَهُو عُصْفُور صَغِيرٌ يَحْتَاج المأوى والطعام؟؟

رَأَيْت بِعَيْنِي يَتِيمًا يَذُق الْحِرْمَان وَلَدَيْه الْكَثِير مِنْ الأموال, حُرِمَه منْهَا عَمِّه بِالْقُوَّة؛ لِأَنَّه صَغِير لَا يقّوَى عَلى استراجع حُقُوقِه، لَا يَعْلَمْ بِأَن عِقَّابِه عَسِيرٌ مِنْ رَبِّ مُنْتَقِم لِلضُّعَفَاء وَمُنْصِف لهم .

قَال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرحيم

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَال الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)

صَدَقَ اللَّهُ العظيم

هَنِيئًا لَكُمْ بِمَا جمعتموه مِنْ عِقَاب يَوْم عسير.

نَارًا تَأَجَّج فِي بُطُونِكُم يَوْمَ الْقِيَامَة.

أَيْن الأَمْوَالِ الَّتِي جُمُعَتُهُم؟! أَيْن الْقُصُور الْمُشَيَّدَة؟! هَل ستحميكم مِنْ غَضَبِ اللَّه؟؟؟!!!!!

رَأَيْت بعَيْنِي الْكَثِير وَالْكَثِير، وَلَكِنْ لَمْ أَسْتَطِع الْحَدِيث؛ فلساني قَدْ عُقْد مِمَّا شَاهَدْتَه مِن خَرَاب ودمار.

قَلْبِي تَحَطَّم وتمزق مِمَّا رَأَتْ عينيي..

عَجِبْتُ مِنْ زَمَن نِهَايَته مَحْدُودَةٌ!!!!!



للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

info@ibda3-tp.com

dreidibrahim@gmail.com

ibda3bookstore@gmail.com